# ما بعد الكارثة

* الكتاب: ما بعد الكارثة (مسرحية)

* الكاتب: د. أيمن الشريف

* مراجعة لغوية: قسم التحرير والمراجعة بدار المنتدى

* تصميم الغلاف: قسم الجرافيك بدار المنتدى

* إخراج داخلي: القسم الفني بدار المنتدى

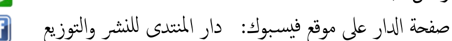
* رقم الإيداع: 17254/ 2022

* الترقيم الدولي: 978-977-86240-5-2

المدير العام: عزيز عثمان

لمراسلة الدار: **daralmuntadaa@gmail.com**

واتس آب: 01005186476




















(مسـرحـيـة)

# ما بعد الكارثة

للكاتب

## د. أيمن الشريف





# الشخصيات

- رابين: منتصف الثلاثينيات، حاد القسمات وذو بنية قوية، عقيم لا ينجب، هو وزوجته مسئولا الزراعة والحصاد.
- نير: زوجة رابين، أوائل الثلاثينات، فتاة ذات بشرة خمرية وبنية متناسقة، تعمل بجانب زوجها وتجيد الغناء والغزل.
- سقندار: صاحب الأمر في مجتمع الكهف، وهو رجل الدين الذي تجمع حوله الناس، ذو وجه باسم وعينين ثاقبتين، في الخمسين من عمره.
- طولو: طبيب هذه المجموعة، رجل في الخمسين من عمره، صاحب علم وفلسفة في الحياة، ناقم علىٰ كل من حوله.
- تاوين: رجل قعيد مشوه، له لسان فصيح؛ كان شاعرا في الماضي، بائس عابس الوجه دائما، وهو في الأربعينيات من العمر.
- قاي: ابن تاوين الوحيد، فتىٰ نحيل البنية ضعيف الصوت، في منتصف فترة المراهقة، له من أبيه فصاحته ولسانه، تأتيه رؤىٰ لا يعرف معناها.
- هولوك: عاصر النبيذ الذي لا يقربه قط، رجل متلون الوجه سريع الحركة، مجهول السن والنسب والماضي والمستقبل.



- راكاز: فارس المدينة الذي ألقىٰ سيفه وقت أن حلت الكارثة، فحق عليه أن يُلعن. يتمنىٰ الموت ولا يملك شجاعة الانتحار، في الثلاثينيات من عمره، بجسد قوي امتلأ بآثار الحروب السابقة.
- السجين: إنسان أقرب إلىٰ الحيوان في سلوكه ومظهره، بنيته الجسدية ليست سليمة لانعدام ضوء الشمس عنه في طفولته، في حدود أوائل العشرينيات من العمر، وجدوه مقيدا من عنقه وقت أن دخلوا إلىٰ الكهف، وآثروا أن يبقوه كذلك.
- كالا: طيف في خيال السجين كونها عقله، لا يراها غيره.
- أصفندين: كهل في الخمسين من عمره، متذبذب وغير مستقر، ظن أنه نجا من الرماد؛ ارتمىٰ في أحضان النيران.
- بنيلور: طفلة في الثامنة عشر، ترىٰ نبوءة النهاية.

****

# ما بعد الكارثة

## الفصل الأول

## (الآخِرُونْ)



***المسرح في ظلام تام بعد فتح الستار.***

قاي: «حدثني يا صاحب الرؤية، إن كان هذا ما انتهينا إليه، فما هي البداية؟»

سقندار: «أي بداية تقصد؟ كل شيء في هذه الدنيا كان بداية لما نحن فيه الآن»

قاي: «حدثني عن بداية كل شيء إذن»

سقندار: «سيطول حديثنا، ألا تريد النوم؟»

قاي: «أخاف منه، أخشىٰ أن أرىٰ ما أراه كل ليلة في أحلامي البائسة... حدثني يا صاحب الرؤية فإن حديثك يطيب له القلب»

سقندار: «حسنا إذن... في البداية يا فتىٰ لم يكن هناك شيء... فقط ظلام حالك لا مثيل له ولا شبيه، ثم أمر الخالق أن يكون النور... فكان النور»

***يضيء نور طفيف من بين يديه. ثم تفتح إضاءة المسرح لتكشف عن تكوين جبلي، يوضح أنهم داخل كهف متشعب يحتوي علىٰ العديد من الممرات، أرضية الكهف طينية قليلا ويبدو من بعيد كأن هناك نبات بدأ في النمو علىٰ مساحة متوسطة من الأرض وبعض الجدران.***



***في عمق المسرح مستوىٰ مرتفع بعض الشيء، عليه شخص أشعث الشعر والذقن ومقيد بالسلاسل من رأسه وحتىٰ أخمص قدميه.***

***عند أحد الكواليس تكوين حجري ضخم جدا يسده تماما. تكوين يشبه بئر عند أحد جوانب المسرح.***

***«رابين» في منتصف المسرح يتحرك ليأخذ صواعا يملأه ماءً من البئر ويقدمه للسجين الذي يجلس علىٰ ركبتيه ليشرب الماء في نهم وعطش شديدين.***

رابين: «علىٰ مهل يا هذا... لن يذهب الماء بعيدا»

***تدخل (نير) حاملة في يدها سلة الطعام.***

نير: «دعه يفعل ما يشاء يا رابين (تضع السلة أرضا) أوتعلم؟ أحيانا أشفق عليه»

رابين: «تشفقين علىٰ السجين! أما زوجك الذي أصاب قلبه الشوق لرؤياك طيلة اليوم... فلا؟»

نير: «فأما زوجي وحبيبي ومهجة قلبي ما له شفقة مني، بل له قلبي وعقلي، وروحي بين يديه. قد ملكتني يا رابين»

رابين: «ما لرابين من ملك علىٰ (نير) الساحرة، إنما أنا وأنتِ في عداد الهوىٰ، وما لأحد في الهوىٰ من سلطان»



نير: «هلا قللت من غزلك فإن (نير) لا تقوىٰ علىٰ مجادلتك في كلم الحب»

رابين: «وهل للحب من طعم من دون الغزل؟»

نير: «أتذكر أول يوم التقينا فيه؟»

رابين: «وكيف أنسىٰ؟ كانت الصدفة التي غيرت حياتي للأبد»

نير: «كان هذا يوم الكارثة الكبرىٰ، رأيتك تجري من بعيد بلا هدف، ثم رأيتني أبكي فتوقفت... لم تتحدث، فقط أمسكت بيدي وانطلقنا...»

رابين: «رأيت المئات من حولي يتساقطون صرعىٰ في الطرقات، كنت أجري هاربا قبل أن تصيبني اللعنة كما أصابتهم، لكن لم أعرف إلىٰ أين السبيل، وما إن رأيتكِ حتىٰ هداني الوحي أن سر في هذا الطريق، واصعد الجبل معها»

نير: «تساقطت يومها من هول ما رأيت، فحملتني وصعدت بي، كنت عبئا ثقيلا عليك... لكنك لم تتركني»

رابين: «وكيف أترك عينيك الباكيتين؟ كانت نظرة واحدة منك تكفيني لأقع في غرامك فورا قبل الموت»

نير: «وماذا يشتهي أميري الشجاع نظير إنقاذي؟»



رابين(بحزن): «أشتهي... أشتهي ذرية منك»

نير: «أولا تكفيك نير؟ ألست طفلتك المدللة؟»

رابين: «لا لست طفلتي، أنت زوجتي، وأنا زوجك العقيم»

نير: «أنا لا أريد شيئا، لا أريد أطفالا ولا أريد أن أكون أما... لا أريد سواك»

رابين: «نعم... ولهذا تجلسين طوال الليل تنسجين لباسا لطفل لن يأتي، ثم تفضين ما صنعتِ في الصباح... أليس كذلك؟»

نير: «أأأ... أنا... »

رابين: «أنا لا أريد ردا علىٰ هذا... لا أريد»

***تقوم نير تاركة إياه وحده.***

رابين: «إلىٰ أين؟»

نير: «إلىٰ عشنا... كيف أبقىٰ وفي قلبك مني خطب ما؟»

***يدخل «هولوك» علىٰ عجل.***

هولوك: «آه... يا لرحمات الخالق! أخيرًا وجدتكما، بحثت عنكما كثيرًا دون جدوىٰ، إلىٰ أن قابلت سيدي (سقندار)... قال لي أنني قد أجدكما هنا»



رابين: «وقد صدق صاحب الرؤية... مرحبا بك يا (هولوك).»

هولوك: «بل مرحبا بك يا (رابين) لم أرك البارحة في جلسة الاعتراف»

رابين: «إنما للنوم سطوته، أنت تعلم أننا مسئولي الزراعة والطعام، وقد شقينا البارحة شقاءً شديدًا»

هولوك: «ما لا أعلمه حقًا هو كيف تزرعون دون ضوء الشمس؟»

نير: «إنما هي عطيه الخالق لنا، لا تفسير سوىٰ هذا»

رابين: «بلي... هذا هو التفسير الوحيد بالفعل، الخالق يرعانا برحماته لأننا الباقين الوحيدين علىٰ هذه الأرض... اختارنا هنا لسبب ما، واقتادنا هنا لسبب ما»

هولوك: «هل تظن حقًا أنه لم تعد هناك حياة خارج الكهف؟»

نير: «هذا ما قاله صاحب الرؤية»

رابين: «ألم تر ما حدث؟ لا بد وأن الكارثة قضت علىٰ كل شيء»

هولوك: «آه نعم، لا بد وأنها فعلت»

رابين: «قل لي إذن، لما كنت تبحث عنا؟»

هولوك: «العنب يا صديقي، أريد العنب لأعصر النبيذ.»



نير: «حسنا... سأجلب لك بعضه»

***تخرج(نير) بينما يبقىٰ (هولوك ورابين)***

رابين: «ما زلت أعجب لأمرك يا (هولوك)...عاصر النبيذ الذي لا يشرب»

هولوك: «لا يعجبني طعمه»

***يضحكان.***

هولوك: «أما من أخبار في القريب العاجل؟»

رابين: «أي أخبار؟ عم تتحدث؟»

هولوك: «عامان منذ جئنا للكهف، ولم نر لكما طفل بعد»

رابين: «هذا أمر الخالق... إن شاء أعطانا الذرية»

هولوك: «آه طبعا... ها هي (نير) الجميلة قد حضرت»

***تدخل بوعاء فيه العنب.***

نير: «تفضل، أيكفيك هذا أم أزيد؟»

هولوك: بل يزيد عن حاجتي، شكرا لكما»

رابين: «سنتجه إلىٰ عشنا... أريد النوم قليلًا.»



نير: «هيا بنا إذن» يخرجان ويتبقىٰ (هولوك)

هولوك: «رابين العقيم لا يستطيع أن يكون أبًا... لكم يشعرني هذا بالضيق، لا... لا يشعرني بشيء علىٰ الاطلاق، أوتعلم يا هذا (موجهًا حديثه للسجين) ما يعجبني فيك أنك لا تتحدث علىٰ الإطلاق... أريد أن أقول لك شيئًا لكن عدني أن يكون سرًا بيننا، أمستعد أنت؟ تبًا لك (يضحك)»

***يدخل (راكاز) وقد بدت عليه علامات السكر والنشوة.***

راكاز: «(هولوك) يا إله السعادة في هذا الكهف، أنا أبحث عنك منذ... منذ... منذ أن فرغ كأسي»

هولوك: «كأسك دومًا ما يفرغ سريعًا يا سيد (راكاز)...أخشىٰ عليك من كثرة النبيذ»

راكاز: «أتخشىٰ علىٰ فارس فرسان المدينة من الشراب!... بإمكاني أن أشرب البحر إن ملؤوه نبيذًا يا عاصر الخمر، هذه قدرتي ومعجزتي الصغيرة»

***يخرج (هولوك) قنينة نبيذ من جعبته التي يحملها دومًا ويعطيها له.***

هولوك: «قل لي يا سيدي كيف استطعت النجاة؟»

راكاز: «نجوت لأنني الأذكىٰ، أذكىٰ منهم جميعًا... كم قلت لهؤلاء الملاعين أنه لا فائدة من الانتظار، فإن الكارثة الكبرىٰ سترسو فوق شطوطنا لا محالة، يومها قال السلطان سأموت وسط رعيتي، أي عقل في هذا؟ يومها خرجت من بهوه ألعنه وألعن فرساني الذين قرروا البقاء معه، أغبياء... وأنا لن أموت وسط الأغبياء، ركبت حصاني وانطلقت لبيتي حيث زوجتي وابنتيَّ الصغيرتين، فلذتي فؤادي ونور بصري، فوجدتهم صرعىٰ وقد طالهم ما طال الناس من الكارثة، لم أستطع حمايتهم، يا ليتني مت قبل أن أرىٰ هذا وكنت نسيًا منسيًا... خرجت لأجد حصاني قد نفق، لم لا أموت أنا أيضًا؟ جريت بلا هدىٰ، جريت حتىٰ أوصلتني قدماي إلىٰ هنا، وأوصلتني يداي لهذه القنينة التي تحمل الخمر»

هولوك: «يا لمأساتك، ليظلهم الخالق برحمته»

***يقع (راكاز) أرضًا فيسنده (هولوك)***

هولوك: «علىٰ مهل سيدي، يكفيك نبيذًا»

راكاز (يصرخ): «اترك القنينة لم أنتهِ منها بعد، (يهدأ فجأة) هل من الممكن أن أطلب منك شيئًا؟»

هولوك: «بالطبع سيدي»



راكاز: «خذني إلىٰ عشي الصغير، فأنا لا أعرف أين هو، وإن كنت أعرف فقدماي لا تقويان علىٰ الحراك»

هولوك: «حسنا... تعال معي»

***يخرجان.***

***من مكان خفي يدخل (قاي) سريعًا، حاملًا في يده صحنًا يحتوي الطعام والأكل، ويجري مسرعًا ناظرًا حوله قبل أن يضعه أمام السجين الذي ينظر إليه متشككًا فيما يري»***

***يصعد إلىٰ المستوىٰ حيث السجين، لكنه يقدم الطعام بخوف وحذر.***

قاي: «خذ هذا الطعام، لماذا تنظر إلي هكذا؟ هيا أفرغ بسرعة قبل أن يراك أحد... (يراقبه)، ألا تتحدث مطلقًا يا هذا؟ من أنت؟ منذ أن رمتنا دائرة الدنيا إلىٰ ذلك الكهف وكنت موجودًا، مقيدًا علىٰ ذات الوضع الذي أنت فيه الآن، ما اسمك؟ كم عمرك؟ إلىٰ أية عائلة تنتمي؟ بل دعك من كل هذه الأسئلة وقل لي... لماذا أراك دومًا في أحلامي؟ لماذا أشعر دومًا أنني وإياك علىٰ حبل موصول؟ حتىٰ أنني متأكد أنك كنت في رؤياي الأولىٰ... وكان هذا قبل حتىٰ أن نأتي إلىٰ الكهف... من أنت؟»



***من جانب المسرح يظهر (تاوين) زاحفًا علىٰ أحد جوانبه.***

تاوين: «(قاي) ما الذي تفعله هنا؟»

قاي: «لا شيء يا أبي... لا شيء (بفزع)»

تاوين: «وما الذي أراه إذن، أتعطي السجين طعامًا؟»

قاي: «كان معي ما يفيض عن حاجتي، فوهبته له، إنه بالكاد يذوق الطعام يا أبي»

تاوين: «وما شأنك أنت؟ هل ولاك (سقندار) مهمة إطعامه؟ أم أن قلبك العطوف هذا يرىٰ ما لا يراه صاحب الرؤيا بذاته؟»

قاي: «لا هذا ولا ذاك يا أبي، لكنه يؤرق قلبي ألا نعرف حتىٰ من هو وما قصته ونبقيه علىٰ هذا النحو، لقد رأيته يا أبي، شاهدته برؤيتين أولاهما كانت قبل أن أراه، بل قبل أن تحل الكارثة... والثانية كانت البارحة، هل لهذا سبب في رأيك؟»

تاوين: «لا أدري ولا أريد أن أعرف لهذا سببا»

قاي: «وأنا لا ارىٰ سببًا في ألا أقدم له الطعام»

تاوين: «وكلمات (سقندار)، تضرب بها عرض الحائط؟»

قاي: «لم تأتني تلك الرؤىٰ منه»



تاوين: «عليك إذن أن تذكر رؤياك تلك في جلسة الاعتراف ليطهرك (سقندار)... فلربما مس شيطان عقلك»

***يدخل من أحد جوانب المسرح الطبيب (طولو) ويصعد إلىٰ حيث السجين، يتفقده وينظر ليجد الطعام.***

طولو (أثناء تفقده): «يطهرك سقندار... ها؟ ولا يطهرك الاعتراف نفسه؟!» الشيطان لم يمس عقل ولدك (تاوين) بل مس عقلك أنت»

تاوين: «وما شأنك أنت بحديثي مع ولدي؟ هل أنت الطبيب أم عراب الفصيلة؟»

طولو(مكملًا حديثه مع قاي): «أنت علىٰ حق يا فتىٰ، لا تكن مثلهم، إنهم موهومون، أخذهم سقندار إلىٰ حيث يريد»

قاي: «وماذا تفعل أنت يا سيد طولو؟»

طولو: «آتي إلىٰ هنا مرة كل عدة أيام، أرىٰ إن كان هذا المسكين ما زال حيًا»

تاوين: «كيف له أن يكون مسكينًا برأيك (بتهكم)؟ ما الذي تعرفه عنه أفتينا بعلمك»

طولو: «أنا؟! لا أعرف في الواقع، لكن قل لي: هل تعرف أنت؟ آسف، لعلي لم أسأل بطريقة صائبة...عفوًا سأكرر سؤالي، هل

يعرف (سقندار) عنه شيئًا؟ لا شيء سوىٰ أننا اجتمعنا كلنا صدفة في هذا المكان هربًا من كارثة لا ندري كيف أصابتنا؟ وهنا رأينا هذا الرجل المقيد، وبدلًا من أن يكون رأي صاحب الرؤية أن يفكوا وثاقه ويعرفوا كنهه، أفتىٰ سيدكم بأن يبقىٰ هكذا إلىٰ أن يموت، نعم الرأي ونعم القطيع أنتم!»

***في غمرة الأحداث تصيب (قاي) حالة نورانية يتصبب لها عرقًا، ويغرق في نوبة من التشنج العضلي ويتغير صوته بنسبة كبيرة.***

طولو (فزعا): «تاوين... ولدي»

***يجري طولو، ويزحف تاوين إليه وكل منهما يحاول تفقده بينما يقول قاي:***

ما كان حلٌ لكم
فالآنَ يمتنعُ
من ذاقَ حرماتٍ
بالموتِ يرتدعُ
بجديدِ الدمِ صلاتكم
تقبل وترتفعُ.

*مع انخفاض الإضاءة.*



طولو: «ربما يجدر بك أن تعتني بولدك يا (تاوين) لدي ما يدفعني للإيمان بأنه صاحب الرؤيا الحقيقي»

***يرفع (قاي) من علىٰ الأرض ويجري به خارجًا ويزحف تاوين خلفهما.***

***تنحصر الإضاءة إلىٰ حيث السجين. وتظهر (كالا) أمام السجين علىٰ وقع نغم ساحر، كأنها آتيه من الفردوس بثوبها الأبيض الواسع والهالة المنبعثة حولها.***

كالا: «آذوك يا صغيري، آذوك كثيرا. لكن إياك أن تخاف... احتمل إلىٰ أن أراك، احتمل إلىٰ أن أضمك بذراعي مرة أخرىٰ، حينما يحين الموعد، انظر إلىٰ عيونهم التي امتلأت منك خوفًا، ولا تظهر لهم سوىٰ ما يستحقون من نظراتك، وادعني آتيك علىٰ عجل يا صغيري»

***مع اختفاء (كالا) واتساع بؤرة الإضاءة مرة أخرىٰ نفاجأ بـ(سقندار) واقفًا ينظر إلىٰ السجين.***

سقندار: «مع من تتحدث؟ سمعتك تهمهم كعادتك كلما تركناك وحيدًا، لا أعلم لماذا لكن ينتابني هذا الخوف كلما نظرت في عينيك، عيناك كأعين السحرة، منذ سنوات رأيت ساحرة وكان لها عيناك ذات البريق، ونفس النظرة التي تسلب الدفء من صدري، لا



أدري إن كنت تدرك ما أقول، فأنا لا أعلم عنك شيئًا، ولتعلم يا هذا أن ذاك هو السبب الوحيد الذي يجعلني أتقلب في فراشي مرتاح البال، ربما لو كنت أعرف من أنت وأي جرم اقترفت لكنت أطلقت سراحك لكن... »

***يدخل (رابين) مقاطعا...***

رابين: «يا صاحب الرؤية. اجتمع الناس لجلسة الاعتراف وهم بانتظارك»

سقندار: «قل لهم أن (سقندار) آت على الفور... أشكرك يا (رابين) لأنك ذكرتني»

***يهز (رابين) رأسه ويغادر***

سقندار (للسجين): «سنكمل حديثنا قريبًا»

***في المشهد يظهر كل من في الكهف منتظرين قدوم (سقندار) جالسين في وضع دائري فيما عدا (طولو) الذي جلس وحيدًا في أحد الأركان.***

راكاز: «تأخر الليلة سيدنا سقندار.»

رابين: «كان ورائي مباشرة... لن يتأخر.»

نير: « يجب أن يعرف سيدنا سقندار ما رأيناه يا (رابين)»



رابين: «سنذكر ما رأيناه قبل الصلوات يا (نير)»

تاوين: «عليك أن تذكر اعترافك لـ(سقندار) يا فتىٰ»

قاي: «لست أرىٰ سببًا لذلك يا أبي»

هولوك: «لكل شيء سبب عند (سقندار) يا (قاي)... والدك يخبرك بالصواب»

رابين: «ها قد أتىٰ سقندار يا أخواني»

***يدخل سقندار.***

سقندار: «معذرة علىٰ تأخري، ما بالكم؟ عيونكم تظهر قلقًا كبيرًا»

هولوك: «لدينا أمرًا نريد أن نشاركك فيه يا صاحب الرؤيا»

رابين: «هو أمر غريب حقًا يا سيدي، لاحظت زوجتي (نير) منذ فترة أن محاصيلنا وزرعنا الذي يطعمنا قد بدأ يصيبهما العطب»

نير: «تعودت و(رابين) أن في أرض هذا الكهف عجبًا يفوق قدرتنا علىٰ التفسير... نرمي الحب ونسقي الأرض في عدة أيام قلائل فنجد الأرض تخرج زرعها وحصادها رغم انعدام الشمس، لكن يا مفسر قول الخالق ما وجدته اليوم كان غريبًا بعض الشيء... لاحظتُ جدبًا قد بدأ يصيب الزرع في شكلٍ لم أره قبلًا.



سقندار: «ماذا تقصدين يا ابنتي؟»

نير: «أقصد أننا يجب أن نعالج تلك المشكلة... أو سنموت جوعًا في خلال شهر علي الأكثر»

***يدب في المكان صوت همهمات الناس.***

سقندار: «إخواني... يا عباد الرب... استمعوا إلي عل في قولي هذا ما يطمئن قلوبكم ويثلج صدوركم، إنما جئتم لهذا الكهف دونما أن تعلموا سببا، وأراد الرب أن يجعل بينكم وبين الكارثة، فسدت فوهة الكهف بالأحجار فور دخولنا، وأراد لنا الحياة فوهبنا الماء ومعجزة الزرع والحصاد... هل تظنون أن الرب سيتخلىٰ عنكم بعد كل هذا؟»

طولو: «وما الذي سيحدث إذن؟ ما رأي مفسر قول الخالق؟»

سقندار: «أرىٰ أن نصبر وأن نستعين بالصلاة فإنها كفيلة بطمأنة القلوب»

طولو: «سألت عن رأي صاحب التأويل، لا عن عظاته»

سقندار: «ما زالت المشكلة في أولها، ربما عرفنا لها سببًا في وقت قريب.. لا داعي لزيادة التوتر»



طولو: «وأي داع قد يشغل صاحب التأويل إن لم يكن جوع القوم وعطشهم؟»

سقندار: «أي نار تحاول أن توقد يا (طولو)»

طولو: «أنا لا أشعل نارًا، أنا أحاول أن استبقي بعض الماء لأطفئ بها النار التي سوف تشتعل قريبًا»

رابين: «حديثك بهذه الطريقة هو ما سيولد النار أيها الطبيب»

طولو: «حديثي أنا؟ حسنا، سأعتزلكم إذن ما دام حديثي ينغص بطونكم ويؤرق بالكم»

هولوك: «كيف تغادر مجلسنا وصلاتنا وأنت طبيبنا ولك رأي في شيء لا ندرك فيه سوىٰ أقله؟»

رابين: «لمفسر قول الخالق قداسته، لا يجوز الحديث معه علىٰ هذا الوجه»

طولو: «لكم في صاحب التأويل قداسته وتعظيمه... ولي عقل يأبىٰ إلا الشك الذي يوصل لليقين»

نير: «تشك في قول سيدنا سقندار؟ في حديثك أثم وذنب عظيم»

طولو: «أفارقكم إذن فهو خير لي، لكن قبل أن أمضي أريدكم أن تعلموا أن فيكم فتىٰ يدعىٰ (قاي بن تاوين) فاحفظوا ما يقول، فهو خير لكم... إن كنتم تعقلون»

***يمضي طولو تاركًا إياهم.***

سقندار: «هل من مغادر آخر؟»

***يطبق صمت علىٰ المكان.***

سقندار: «فأقيموا صلاتكم إذن، واحنوا جباهكم لرضا الخالق عله ينجينا مما ابتلانا به، فإن انتهيتم فأدر الكأس عليهم يا (هولوك) واسقهم قدر ما يريح قلوبهم ويفرغ عقولهم... كونوا عبادًا للرب وبشرا، فإن كنتم عبادًا أراح الخالق قلوبكم، وإن كنتم بشرًا فأريحوا عقولكم بأنفسكم»

***يبدأ الجميع في أداء شعائرهم.***

Black



***تفتح إضاءة المسرح علىٰ ذات الشعائر وقد بدا علىٰ الجميع شدة الإعياء من الجوع والعطش.***

سقندار: «ابتلاكم الخالق ليرىٰ صبركم، فاصبروا وتحملوا»

راكاز: «الجوع مزق في الحشا يا صاحب التأويل»

سقندار: «يخلصكم بها الرب من شهوة الطعام، تجلدوا»

نير: «جفت حلوقنا وكأنها من صخر»

سقندار: «إن شاء منع وإن شاء أعطىٰ.. بيده كل الأمر.»

تاوين: «الصبر لا يملأ البطون يا سيدنا»

سقندار: «قصوا علىٰ أذني ما قاله الفتىٰ»

راكاز: «مرة أخرىٰ؟»

سقندار: «ولو كانت المرة الألف، قصوا علي ما قال»

***يعلو صوت الموسيقىٰ وحالة الاستعراض تزداد اضطرابا.***

***يقترب (تاوين) من أذن (سقندار) ويقص رؤىٰ ولده (قاي)***

تاوين: «يا صاحب التأويل، إن ولدي قد رأىٰ فيما رأىٰ ما لا نجد له عندنا تأويل ولا تفسير، وأنت سيدنا، ومفسر قول الخالق، فما الذي تقوله أنت؟»



سقندار: «لقد رأيت في الفتىٰ وكلماته صوت الخالق لكن لا أعلم، فلربما كانت محض هراءات... قل لي يا (تاوين): أولا يكذب ولدك؟»

تاوين: «ولدي حرم علىٰ لسانه الكذب يا صاحب الرؤيا، فأمه سليلة النبيين، ودمه نقي مثلها»

رابين: «وكيف هذا يا سيدي (تاوين)؟ أتقصد أن زوجتك كانت سليلة النبيين، وابنك يحمل دمها، وأنت لم تذكر هذا سوىٰ الآن؟»

تاوين: «لم يسأل أحد من قبل... ولم أرَ داع لذكر ذلك»

راكاز: «وما الذي يعنيه هذا؟ فيم يفيدنا نقاء دم الصبي؟»

سقندار: «يعني أن الفتىٰ صادق... وأن ما يقوله رسالة من الخالق، ولربما بها حل ما نحن فيه»

نير: «وماذا سنفعل إذن يا صاحب التأويل؟ الموت يحيط بنا من كل حدب وصوب... في خارج الكهف موتنا وفي داخله موتنا»

هولوك: «قل لي يا سيد (تاوين) كيف كان لك أن تتزوج من سلالة النبيين؟ لا بد وأن لذلك قصة، إذ أنني أعلم تمامًا أنهم يرفضون تزويج بناتهم للعامة من الناس»

تاوين: «هذا الأمر ماض وانتهىٰ، فيم يفيد الحديث فيه؟»



سقندار: «يفيدك ويفيدنا... يفيدك أن تريح عن كاهليك حملك الثقيل، ويفيدنا أن نطمئن لرسالة الفتىٰ»

***يصمت(تاوين) قليلًا ليفكر ثم يقرر البوح بما لديه.***

تاوين: «ما سأذكره الآن سيغير الكثير»

سقندار: «فأصغوا لأخيكم واستمعوا»

تاوين: «به ما لم أبح به... وبه ما لا يجب أن أبوح به»

رابين: «عن كاهليك يخف الحمل، إن شاركك في حمله أحد»

تاوين: «وماذا إن لم أكن أريد؟»

سقندار: «حتىٰ إن لم ترد فستفعل، ما دام فيه خلاصنا»

تاوين: «عشرون ربيعًا أو يزيد علىٰ ما حدث، وقتها لم أكن ذاك المسخ الزاحف أمامكم، كنت شاعر المدينة، طالما حملتني أبحر الشعر إلىٰ ضفاف كثر... حتىٰ أوصلتني لقصر الملك ذات يوم، وأوردتني منه إلىٰ أسفل درك في الجحيم في يوم آخر...

ذات يوم يا سادة دعيت إلىٰ مأدبة عظيمة أقامها الملك، ألقيت شعري، فمر علىٰ آذان الكل رحابه، ثم لمحت عيناي ما لم أتوقعه، كنت شاعرًا يا سادة أرىٰ الجمال في كل شيء، إلا أنني حين رأيتها

للوهلة الأولىٰ لم أرَ غيرها ولم أظن أن الخالق قد خلق جمالًا كهذا من قبل، في عينيها سبحت الخالق ألف عام أو ما يزيد، وتزينت فكأنها نجم ولد في سماء ما بها غيره... أحببتها، ويوم وراء يوم كنت أتردد علىٰ القصر فأراها، ولما علمت أنها من سلالة النبيين، سألتها إن كانت لتضحي بمكانةٍ كتلك وأن تهرب معي... فوافقت»

وهكذا طفت في الأرض عامين إلىٰ أن أوتيت (قاي)... كنت سعيدًا، إلىٰ أن أتىٰ اليوم الذي علم حراس الملك بمكاننا، أخذوها إلىٰ حيث لا أعلم حتىٰ الآن، وقبل أن يرحلوا كسروا عظامي كلها، وتركوني حيًا لأعيش في مذلة هذا اليوم إلىٰ أن يحملوا رفاتي، فلم أمت لتنتهي معاناتي، ولا التأمت عظامي إلىٰ اليوم... كنت شاعرًا يا سادة، أما اليوم فأنا مسخ ملعون، أماتتني أحلامي لأني صدقتها ذات يوم، ولهذا فإنني لن أترك ولدي ليصدق أحلامه، الأحلام تقتل يا سادة، وولدي لن يعيش ميتًا مثلي»

هولوك: «ولماذا يأخذها الملك؟ ما علاقته بالأمر؟»

سقندار: «كان أباها في... وتاوين سرق جوهرته المصونة»

نير: «إذن الفتىٰ لا يكذب»

راكاز: «ما معنىٰ الرسالة إذن يا صاحب الرؤيا؟»



رابين: «لا يعلم أحد حتىٰ الآن يا سيد (راكاز)»

راكاز: «وهل وجهت إليك سؤالي أيها المزارع؟»

نير: «لا تتحدث إليه هكذا»

راكاز: «أتدافعين أنتِ عنه؟ أوليس رجلًا؟ أم أن رابين العقيم لا يملك لسانًا يدافع فيه عن رجولته الزائفة؟»

سقندار: «كفىٰ... أونسيتم أنكم في حضرتي؟»

***يطبق علىٰ المكان صمت.***

سقندار: «فلتنصرفوا جميعًا... واعلموا أن لسقندار روح لا تصبر»

***يخرج الكل تاركين (سقندار وهولوك).***

هولوك: «وماذا بعد يا سيدي؟ ماذا سيحدث لنا؟»

سقندار: «يفعل ما يريده الخالق»

هولوك: «وما هو؟»

سقندار: «لا أعلم»

هولوك: «لا أعلم»

***يقولها ويتجه خارجًا.***

هولوك (ينفجر ضاحكًا): «حتىٰ سقندار المسكين هو الآخر يتخبط في ظلمة تتلوها ظلمة... آه لو تعلمون إلىٰ أي منقلب ستنقلبون...



اصبروا أيها المؤمنون وتحملوا، فسيأتي يوم قريب سيزول فيه إيمانكم، وتتخبطون وحدكم... ولن يبقىٰ لكم في الدنيا سواي... وسوىٰ خمري الذي لا ينفذ أبدًا»

***يتحرك سريعا إلىٰ حيث السجين.***

هولوك: «وأنت؟ ألا تريد خمري أيضا؟ ألا تريد شيئا علىٰ الإطلاق؟ ألا يشغل بالك ما يحدث حولك حتىٰ؟ أي مسخ أنت؟ أتعلم يا هذا أنني الوحيد الذي يعرف سرك جيدا؟ أعلم تمامًا من أنت وما قصتك، ربما تأخذني الشفقة عليك أحيانًا لكن أظن أنه عقاب مناسب، ليس لك ربما لكنه مناسب جدًا لكل من هو غيرك، ستكون أنت أول فتنة في الكهف، ستكون بداية النهاية لكل شيء، أوتعلم؟ لا أستطيع أن أتركك هكذا، لا بد وأن أسقيك من خمري»

***يحاول أن يسقيه عنوة إلىٰ أن يصرخ السجين ويبكي فيدخل (قاي) إلىٰ المكان مسرعًا.***

قاي: «ماذا تفعل؟ اتركه الآن»

هولوك: «كنت أحاول أن أسقيه وإلا سيموت»

قاي: «لن يشرب خمرك، هو يحتاج الماء.»



هولوك: «وأين الماء يا بن (تاوين)، هلا نظرت حولك جيدًا لتعرف أنه ليس لك الآن إلا الخمر سبيلًا لاتقاء العطش»

***صوت (طولو) يظهر من الكالوس دخولًا .***

طولو: «وهل شكا لك أمره يا (هولوك)؟»

هولوك: «لا يا سيدي الطبيب ولكن... »

طولو: «ارحل الآن يا (هولوك) ولا تعد إلىٰ هنا أبدا»

هولوك (في نفسه): «بالطبع سأرحل (لطولو)... وسأكون موجودًا من أجلك حين يقترب موعدك أيها الطبيب»

***يخرج (هولوك) وبينما يحاول (قاي) و(طولو) تهدئة السجين من بكائه فإذا (بكالا) تظهر مرة أخرىٰ.***

كالا: «تمر الأيام يا صغيري، بقىٰ القليل لتنتهي مهمتك، حينها لن نفترق، ستكون معي دومًا، وسأكون موجودة أزود عنك كل ما تضيق به نفسك الطاهرة، سينقلب كل شيء عن قريب، وستبدو الحقائق كالشمس لا يخفىٰ نورها ولا يبيد، الشمس التي لم ترها طيلة حياتك، رغم أنك شمس هذا الكهف البغيض»



***في أحد جوانب المسرح تنجلي إضاءة لتظهر كل من (سقندار) و(تاوين) و(راكاز) و(هولوك) و(نير) و(رابين)***

سقندار: «كالشمس كان واضحًا قول الفتىٰ، هل أرىٰ تفسيره وحدي؟»

رابين: «لا بد وأن لصاحب التأويل ما يفصل القول»

نير: «أنت الأعلم بما لا نعلم، أنت قدس أقداسنا.»

***علىٰ الناحية الأخرىٰ.***

كالا: «مقدسة هي رسالتك علىٰ هذه الأرض، إنما أرسلت فيهم لتعلمهم ما لا يدركون، وحينها سيتكفلون هم بما بقىٰ»

راكاز: «وماذا بقىٰ لنفعله؟ إننا في عداد الموتىٰ»

تاوين: «إذن سنقدم قربانًا لتسيل دماؤه علىٰ أرض الكهف فتعود له معجزته الأولىٰ، شيء لا يبشر بالخير يا صاحب الرؤيا»

سقندار: «لا بد للمعجزات من تضحيات تمهد لها الطريق»

نير: «ومن أين لنا بقربان الآن؟ إننا لا نملك ماشية ولا أنعام»

تاوين: «أرىٰ من كلمات سيدي أننا مقبلون علىٰ ذبح أحدنا»

راكاز: «يموت فردًا منا أم نموت جميعًا؟»



***علىٰ الجانب الآخر.***

كالا: «جميعهم الآن يتخبطون، يسومهم ألمهم وجوعهم وخوفهم من غد قد لا يعلمون عنه شيئا... جوعهم يقتل إيمانهم، ورغم ذلك يرجون خلاصًا»

سقندار: «خلاصكم في هذا، هذا تأويل رؤياكم»

رابين: « ومن يكون قرباننا؟ من نقتل يا صاحب الرؤيا»

سقندار: «نقتل أضعفنا، ذلك الذي لا يملك نفعًا ولا ضرًا»

الكل: «السجين؟»

***يقومون في تعبير حركي ويتحركون إلىٰ ناحية السجين، منهم من يبعد (قاي) عنه، ومنهم من يشهر سلاحا، ومنهم من لم يقدم علىٰ خطوة.***

***كالا تحاول تهدئة السجين حتىٰ يلفظ أنفاسه الأخيرة.***

***سقندار يبدو متفاجئًا من شيء ما***

***تلوثت ملابس الكل وأجسادهم بالدماء.***

***صرخة السجين الأخيرة.***

سقندار(يبدو عليه أثر صدمة): «دماؤه للكهف، وجسده لكم، وصلاتكم له، كلوا لحمه وأشربوا دمه، اقتاتوا منه لتحيوا وتنيروا



درب الخالق، لحمه حلال لكم، واقتصدوا فيه فإننا لا نعلم متىٰ ستنقشع غمتنا»

كالا: «الآن يرفع الخالق عنكم يده، الآن يبدأ حسابكم»

Black



نير: «أول ما أكلناه، كان القلب»

تاوين: «لما شققنا صدره، كان ما زال ينبض، أحسست بنبضاته في حلقي وأنا ابتلع قطعة ساخنة منه»

رابين: «دماؤه الساخنة ما زالت تحرق أحشائي إلىٰ الآن»

راكاز: «وماذا كنا لنفعل؟ كنا لنموت جوعًا وعطشاَ، أجُرم أن نصارع من أجل بقائنا؟»

طولو: «ولم ينفعنا شيء، لا قتله ولا أكله»

نير: «لم يزدنا لحمه إلا جوعًا»

رابين: «لم يزدنا دمه إلا عطشًا»

تاوين: «لم يزدنا قتله إلا هلاكًا»

قاي: «أنا أذكر كل شيء، عقلي يأبىٰ نسيان عالمي القديم، عالمي الزائل، أذكر كل التفاصيل وانقشها علىٰ حجر ليرىٰ القادمون كيف كنا، وكيف صرنا، أنقش علىٰ حجري هذا كل شيء... السماوات والسحب، وطيور النورس حين تظفر بأسماك المحيط، وازدحام السوق في صباح اليوم، الآن لا أعرف الصباح من المساء، لم تعد تراودني الأحلام، لم أعد أسمع صوت الخالق، لماذا أنا؟ لماذا



اختصصتني برؤياك يا خالقي إن لم تكن لترفع عنا لعنتك؟ لـمَ جعلتني سببًا في قتل ذلك البريء؟»

طولو: «والآن يا (سقندار) وقد تلوثت أيادينا، انظر إلينا جيدًا، هل نبدو لك مختارين لنعمر الأرض من جديد؟ هل نبدو لك بشرًا بناظريك؟»

رابين: «يا سيدي (طولو)... اللعنة لا تزال قائمة، لا بد أن هناك هدفًا من اختبارنا بهذه الطريقة»

طولو: «وما هو يا (رابين)؟ أي اختبار تقصد؟ لقد تم اختبارنا بالفعل، وتأويل الرؤيا كان سبب فشلنا في هذا الاختبار، أولم تدرك هذا بعد؟»

سقندار: «كان للرؤيا تفسيرًا آخر»

الكل: «ماذا؟»

سقندار: «كان للرؤيا تفسيرًا آخر غير هذا»

طولو: «مرة أخرىٰ تقودهم إلىٰ حتفهم؟»

رابين: «أي تأويل يا سيدي؟ ولـمَ لـمْ تقل هذا مسبقًا؟»

سقندار: «لأنه إذا وضعت بين شرين، فعليك أن تختار أقلهم»



طولو: «وأن تقتل بريئًا بغير ذنب؟ أكان هذا أقل شرًا؟»

سقندار: «بل أن تؤذي واحدًا خير من أن تؤذي الجمع كله»

طولو: «أي هراء هذا؟»

سقندار (متأثرا): «أنا لا أقول هراءً... أنا مثلك، لك علم لا أعلمه، ولي علم لا تفقه عنه شيئًا، إننا ضدين، ولذلك أتركك، لأنه من الأفضل أن تترك حولك من يشعرك دومًا أنك الأفضل، وأنك تنتصر، فاخفض من حدة صوتك قبل أن أجعل نفسي بلا منازع»

رابين: «سيدي... إنك لم تجب سؤالي بعد، ماذا كان تفسير الرؤيا الآخر؟»

سقندار: «دماء جديدة»

رابين: «أونقتل من جديد؟»

قاي: «دماء جديدة»

نير: «ألن تنتهي هذه القرابين أبدًا؟»

سقندار: «قرباننا لا يجب أن يكون بالموت، بل بالحياة»

قاي: «عالم جديد»

راكاز: «ماذا تعني يا صاحب الرؤيا؟»

سقندار: «طفل جديد»

قاي: «موت جديد»

هولوك: «كيف هذا؟ لم يعد هناك حياة خارج الكهف، ونحن آخر الأحياء، لم يعد بمقدورنا أن نجد طفلًا بالخارج، ولن نجد امرأة لنتناسل، كل ما لدينا هو (نير)»

***ينظرون إليها جميعًا.***

تاوين: «لكنهما لا ينجبان»

سقندار: «ربما لا يفعل (رابين)، لكن (نير) تفعل»

رابين: «ماذا تقصد؟»

هولوك: «ولربما كانت لا تحبل، فهي لم تتزوج غيره»

سقندار: «(نير) ذكرت لي في إحدىٰ اعترافاتها أنها كانت عاهرة قبل الكارثة، وأنها حبلت سفاحًا من قبل، ومات طفلها فور ولادته»

رابين: «(موجهًا حديثه لنير) ماذا يقول؟ لا بد أنه يكذب أليس كذلك؟ لم تكوني عاهرة، ردي علي»

قاي: «لعنة جديدة»

تاوين: «إذن فأنت ترىٰ أنه لا بد من طفل... من (نير)»



سقندار: «أرأيت؟ لهذا كان قتل السجين هو الشر الأقل»

رابين: «لن يقترب أحد من زوجتي»

سقندار: «هذا ما أمر الخالق يا بني»

رابين: «ولربما كان خطئًا مثل قتل السجين»

هولوك: «وهو أيضا آخر آمالنا»

سقندار: «هذا قرباننا الحقيقي يا (رابين) هذا هو اختبارك»

هولوك: «بضع أقداح من خمري وستجتاز هذه المحنة»

نير: «(رابين) لا تتركني... لا تتركني»

سقندار: «كل شيء هنا يحدث لسبب، فكر جيدًا، أنها عاهرة، تقبل كل صنوف الرجال»

«إذن فقد أرسلت إليٰ هنا لتحبل، وأنت عقيم لأن قدرك أن تتركها لغيرك، أنت مؤمن فدع النور يقودك... (راكاز) ماتت عائلته وعاش كي يكون عائلة هنا... (تاوين) القعيد أنجب من قبل، لربما له في (نير) نصيب، ولربما فعلها (قاي) ولده، ولربما يفعلها (هولوك)... كلهم قد يفعلون إلا أنا... فأنا أشعر بألمك، أنت بمثابة ولدي»

نير: «(رابين) لا تتركني... اقتلني ولا تتركني لهم»



سقندار: «خذها يا (راكاز)... واستعمل قوتك واجبرها إن أبت، وأنت يا هولوك أدر الراح، اسقيه ما يزيح عنه هم هذه الدقائق»

***يبدأون في تنفيذ أوامره وسط البكاء والعويل ويتطور التعبير الحركي إلىٰ معركة بين مؤيدي الرأي ومعارضينه وبينما المعركة تشتد فإذا ب (رابين) يستفيق علىٰ حين غرة ويدب سكينه في قلب سقندار.***

***سقندار يضحك ويقع علىٰ الأرض.***

***يتوقف الكل عن فعله، ويصطف ليرىٰ الموقف.***

رابين: «إلا هي، إلا (نير)... الدنيا بأسرها تركع لها إن ابتسمت، تريد أن تسلب حياتي مني وأقف صامتًا، أنا لست سجينك، لم فعلت ذلك بي؟ وأنا أخلص أتباعك لك؟»

سقندار: «قل لي يا (رابين)، هل اشتهيت القتل مجددًا؟ أما زال إزهاق الأرواح يشبع شهوتك؟ كم روحًا أزهقت قبل أن أضمك إلىٰ كنفي وأسقيك التوبة؟ هل تذكر؟ تسع وتسعون روحًا قد أزهقتها، وأنا الذي وعدتني ألا تقتل مرة أخرىٰ جعلتني رقم مائة... أنتما جديران ببعضكما، قاتل مأجور، وعاهرة»

راكاز: «قل لنا يا سيدي أين الخلاص من كل هذا؟»

تاوين: «كيف النجاة؟ إن ابتلاء الخالق لشديد»



سقندار: «هل ما زلتم تظنون أن الخالق اختاركم لإعادة إعمار الدنيا؟»

هل ما زلت تعتقد حقًا أنك من المختارين الصفوة؟

كلا، أنكم هنا لتعذبوا، كلكم خطاؤون، كلكم تستحقون هذا العذاب... حتىٰ أنا»

تاوين: «وكيف لصاحب الرؤيا أن يكون خطاءً؟

سيدي، هلا قدمت اعترافك للخالق فيطهرك، أنك تموت»

سقندار: «هذا اعترافي الأول والأخير،

يا خالقي قد أذنبت، أذكر ذلك اليوم وكأنه البارحة، أذكر جرمًا حملته في نفسي ولم أبح به، وقد آن أوانه.

كان يومًا عاصفًا، واشتد برده وتساقطت أمطاره، كنت أجري بالطرقات أحتمي بالمنازل من حولي إلىٰ أن أصل بيتي، ونظرت فرأيتها، صغيرة لا تزيد عن اثني عشرة ربيعًا، تبكي من الوحدة وأثر الشتاء، لا منزل ولا وطن، ولا شيء لتتقي به العاصفة علىٰ أكتافها... أدركت من أنا (يسعل دماءً) نظرت إليَ نظرة أن أغثني مما حولي، مدت إلي يدها وأخذتها إلىٰ داري... طفلة كانت، إلا أن الخمر أراني

ما لـم يجـدر بـي أن أراه فيهـا، فنظـرت إليهـا ووجـدت امـرأة، عينـين ملائكيتين ترسلان للعالمين سلامًا، وشعرا غجريا ابتل علىٰ أكتافها»

تمنعت، فأخضعتها وقتلت طفولتها، بعـد أشـهر علمـت أنهـا حبلـت، طفلة تحمل طفلًا في رحمها... وكنت (سقندار) مفسر قـول الخـالق، لا يجـدر للنـاس أن تعلـم مـا فعلـت... فاختفـت هـذه الطفلـة إلـىٰ أن وضعت جنينها وفي هذا اليوم وجدها رجالي، وقتها سألتها ما اسمك يا فتاة فأجابت: (كالا)»

***المشهد بينه وبين كالا .***

سقندار: «هل تعلمين من أنا؟

(سقندار)... الأطهر، مفسر قول الرب، سيد الزيـف، الكـاذب، قاتـل الأحلام»

سقندار: «وهل تعلمين ما سأفعل بك؟»

كالا: «ستقتلني، وربمـا كنـت وحشًـا فقتلـت ولـدك أيضًـا، وليكـونن ذلك عذابك المقيت إلىٰ أن يأتيك نحبك»

***يمد يده بالسكين ويذبحها.***

سقندار: «ولم أستطع قتل الطفل، أودعته إلىٰ رجل قطعت لسانه كي لا يخبر أحدًا عن هـذا الطفـل، ووضـعت عليـه ختـم المنبـوذين علـىٰ



كتفه الأيسر، وكان القانون أن أضع الختم إن نبذت أحدهم علىٰ الكتف الأيمن، وبينما كنت تقتل السجين يا رابين بسكينك هذا الذي قتلتني به، وبينما كنت تقطع لحمه إربًا، رأيت علامة المنبوذين علىٰ الأيسر من أذرعه»

طولو: «وقتلت ولدك دون أن تعلم... يا لعقابك يا ربي»

سقندار: «أوتؤمن أيها الطبيب»

طولو: «أؤمن، كما أؤمن أنك بسكراتك الأخيرة»

سقندار: «أين هولوك؟ أريد خمرًا»

***يبحثون عنه فلا يجدونه.***

سقندار: «إذن سأموت وأنا أرىٰ ذنبي أمام عيني... أراني وأنا أعلم أنني آكل لحم ولدي، هلا عجلت يا (رابين)، لا أتحمل»

***(رابين) يغرز سكينه في قلب (سقندار)***

نير: «دماؤه للكهف، وجسده لكم، وصلاتكم له، كلوا لحمه واشربوا دمه، اقتاتوا منه لتحيوا... (تأخذ السكين من رابين وتبدأ في تقطيع لحم سقندار وشق صدره، تمسك قلبه في يديها وتأكله بينما تتحدث)



لحمه حلال لكم... ودماؤه ملك لكم، واقتصدوا فيه، فإننا لا نعلم متىٰ ستنقشع غمتنا»

Black



المسرح في إظلام تام، ثم يضيء ذات الضوء من بين يدي (قاي)، ثم يظهر في الإضاءة من خلفه (طولو)

طولو: «وأنت يا فتىٰ، كيف تفسر رؤياك؟»

قاي: «خطاؤون... كلكم خطاؤون، هكذا قال (سقندار)، فماذا اقترفت لتكون هنا؟»

طولو: «ربما سأعترف، لكن ليس الآن، وسأعترف لك وحدك»

قاي: «أرىٰ من رؤياي أن الكهف قد أدىٰ واجبه نحونا، أرىٰ أن نخرج من هنا»

طولو: «سنموت بالخارج»

قاي: «ربما نموت، وربما لا، إن متنا فقد عجلنا كما عجل (سقندار)، وإن بقينا نموت بعذابنا»

طولو: «وأين (هولوك)؟ لم نر له جثة حتىٰ، لم نره يذهب ولم نعلم كيف خرج»

قاي: «(هولوك) أيضًا أدىٰ واجبه، والآن يعصر خمرًا لآخرين»

طولو: «والكارثة؟ كيف نفتح بابنا لها؟»



قاي: «لا تخشىٰ الكارثة، عليك أن تخشىٰ ما بعدها، فما كان كارثة عليك، سيكون الآن كارثة بك أنت نفسك، نحن ما خلفته الكارثة يا سيدي، نحن كارثة أخرىٰ»

طولو: «رابين»

***تضيء إنارة علىٰ رابين ونير.***

رابين: «نخرج؟»

نير: «أخشىٰ ما بالخارج»

تاوين: «أخشىٰ ما بالداخل»

قاي: «افتحوا الأبواب... شقوا بين الصخر مخرجًا»

طولو: «نفعل إذن»

رابين: «لن نفعل»

نير: «أخشىٰ ما بالخارج»

تاوين: «بل نفعل»

*حالة من التخبط والصراع.*

Black

****

# ما بعد الكارثة

# الفصل الثاني

# (لمَّا تـوارت الشمس)



***الظلام يخيم على خشبة المسرح تماما، والموسيقى ترتحل في أجوائها المعتمة، الصوت يمتزج بكلمات تخرج من حنجرة أنثوية.***

بنيلور: «حدثني يا صاحب الأمر، إن كان هذا ما انتهينا إليه... فما هي البداية؟»

***الإضاءة تبدأ في التصاعد التدريجي صانعة بؤرة تحيط تدريجيا بـ«بنيلور» ثم بالتدريج تظهر بؤرة أخرى يظهر بها «قاي» وقد بدا عليه فرق السنوات التي زحفت على رأسه وأشابت شعره.***

***يتذكر مع حديثها بداية مشابهة، الأمر الذي يصيبه بالدهشة والانزعاج.***

قاي: «عن أي بداية تتحدثين؟ كل شيء في هذه الدنيا كان بداية لما نحن فيه الآن»

بنيلور: «أخاف منه...أخشى أن أرى ما أراه كل ليلة في أحلامي البائسة، حدثني يا صاحب الأمر فإن حديثك...»

قاي (مكملا كلماتها بصوت خفيض): «يطيب له القلب»

بنيلور(متعجبة من إكمالها لكلماتها): «نعم... يطيب له القلب»

***يقترب بهدوء منها حتى يجلس إلى جوارها.***

قاي: «حسنا إذن... في البداية يا (بنيلور) لم يكن هناك شيء، فقط ظلام حالك لا مثيل له، ثم أمر الخالق أن يكون النور... فكان النور»



مع كلماته تنطفئ بؤرتي الإضاءة ليبدأ المسرح في الإظلام، مع تزايد حدة الموسيقىٰ تنفتح الإضاءة مرة أخرىٰ كاشفة عن «بنيلور» وسط عدة جثث معلقة بشكل عكسي من الأقدام، وتدلت الرؤوس إلىٰ الأسفل، يتقاطر الدم من الجثث علىٰ الأرض، قطرة وراء قطرة يتكون نهر من الدم يجري علىٰ الأرض بشكل غزير، الإضاءات تزداد حدة في ألوانها.

تحاول «بنيلور» أن تشق طريقها هربا مما تراه، ثم يبدأ من حولها دخان يملأ المكان. القلق العارم يجبرها علىٰ محاولة الهرب مما ترىٰ، لكن بلا جدوىٰ، يزداد هذا الدخان بالتدريج ثم تكف الأصوات من حولها. يبدأ الدخان في الزوال فلا نرىٰ علىٰ المسرح سواها... لا جثث ولا دماء.

تتركز الإضاءة مع بنيلور فقط كأنما تضيق الحوائط بالتدريج من حولها، وكلما ضاقت تخبطت بنيلور في أرجائها وجوانبها، إلىٰ أن يظهر العائد كخيال ممتد أمامها... تصرخ بعنف شديد. ثم تُظلم إضاءة المسرح.

Black



***تعود الإضاءة مرة أخرىٰ في صورتها الكاملة " light Full" ليظهر في العمق ربوة عالية عليها شجرة عظيمة الشكل والحجم، تحمل في طيات أغصانها أزهار ملونة بالأبيض تدلت فروعها، تساقطت أوراقها اليابسات صانعة تحتها نهرا ملونا من الأوراق والأزهار، ترسل هذه الشجرة ظلالها إلىٰ جموع الناس الواقفين حولها فتشملهم جميعا.***

شخص ١: «تأخر الليلة صاحب الأمر»

شخص٢: «لم يجمع السيد «قاي» الناس جميعا إلا للتشاور في أمر جلل»

شخص٣: «وأي أمر هذا الذي يُجمع له أهل المدينة جميعا؟»

شخص٤: «سمعت أن الشاحبين قد أغاروا علىٰ المدينة التي ناحية الشمال ليلة أمس»

شخص٥: «هؤلاء المسوخ، إن دخلوا إلىٰ مدينة لا يخلفون وراءهم إلا الدمار»

شخص٤: «يقولون أن البارحة أبادوا مدينة الشمال بالكامل، لم يتركوا وراءهم غير أشلاء ممزقة ودمار»

شخص٣: «لولا الجبل الذي يحدنا عنهم لكنا أول الممزقين»



شخص٢: «دخولهم إلىٰ المدينة الشمالية يعني أننا التاليون لا محالة، هؤلاء المسوخ لا يحدهم الآن شيء»

شخص٥: «والآن لم يبق لنا سوىٰ أن نشرب من ماء النبع، ماذا لو صبغت الأرض ماءه أيضا؟»

شخص٣: «الشاحبون أمامنا، وماء مسموم خلفنا»

شخص٤: «لحظة... أنا أرىٰ صاحب الأمر، نعم هو يا سادة»

***يدخل «قاي» فيلاحظ الناس ظهوره واحدا يلو الآخر إلىٰ أن يصل إلىٰ أسفل الشجرة. الأصوات تخفت تدريجيا بينما يتفحص «قاي» الأعين من حوله.***

قاي: «إخواني... يا عُبَّاد الخالق... استمعوا إلي عل في قولي ما يُصيب في قلوبكم. أما وقد آل مآلنا إلىٰ هذا اليوم العصيب، وأغلقت من أمامنا السبل، ووارينا من الأقارب والأحباب في التراب عددا ليس بقليل. والشاحبون القاطنون خلف جبال الشرق، وما خلفوه من دمار وبلاء، يقضون علىٰ الأخضر واليابس، يأكلون قلوب الناس، ولذا... ها أنا أمامكم اليوم «قاي بن تاوين» صاحب الأمر الذي اخترتموه، أعلنكم بأنني قررت تشييد جيش يزود عن هذه المدينة، يدافع عن الأرض والعرض، فلا يأمن أحد سر قادم الأيام»



شخص٤: «ومن يستطيع أن يقف بوجه هؤلاء؟»

شخص٥: «ليس منا محاربون، كلنا تخلينا عن القتال منذ زمن الكارثة»

قاي: «للضرورة أحكام... هذا مسارنا الجديد»

***من بين الحشود يخترق الناس صوت «نير» الواقفة بين الناس وقد رمت علىٰ رأسها بحجاب أخفىٰ معالم وجهها المميز.***

نير: «أتقتضي الضرورة أن ترسل الناس إلىٰ حتفهم يا صاحب الأمر؟»

***تتقدم بين جموع الناس فيفسحون لها طريقا بينهم.***

نير(تكمل): «أخبرهم... أخبر الناس لماذا مات (رابين)»

قاي: «(نير) أفلا هدأت؟»

نير: «أخبرهم كيف قُتِل...»

قاي: «مات مدافعا عنا... جروحه كلها من قُبُل... لم يفر يا نير، واجه الكل ومات بقلب جسور»

نير: «مات بقلب ممزق، شقوا صدره وأكلوا قلبه، أتذكر لحظة كهذه يا صاحب الأمر؟»



قاي: «لا داعي للحديث عن هذا الأمر الآن»

نير: «أول ما أكلوه كان القلب، شقوا صدره وقلبه ما زال ينبض»

قاي: «كفىٰ يا نير»

نير: «(باكية كبركان يثور) اللعنة علىٰ (نير) ومن (نير) بغير (رابين)؟ مزقوا قلبه الذي كان أطهر ما فيه، مات مدافعا عن أقوات الناس وحصادهم...»

قاي: «رفض الهرب هو ورجاله، أمسكوا بعتادهم التي يزرعون بها ووقفوا يصدون وحدهم أمام وفرة من الشاحبين هناك بعيدا علىٰ أطراف المدينة»

نير: «تركني بلا وداع (تنهار) لعنته السماء ولعنتك يا قاي، لم جعلته هناك وحيدا؟»

قاي: «ومن غيره ليتولىٰ زرعنا وحصادنا؟ من غيره يدير أمر هذا للناس؟ من يعلمهم كيف يزرعون في أرض بور فتطرح بستانا؟»

نير: «تركني بلا وداع هناك، علىٰ أطراف المدينة وحده»

قاي: «يا أيها الناس... قد علمتم ما قررت، فاستعينوا وتعاونوا علىٰ حمل السلاح، اصنعوا عتادكم الذي يقيكم، وسأعلن النفير قريبا... فضوا جمعكم واتركونا لحالنا قليلا»



***ينفض جموع الناس واحدا يلو الآخر مهمهمين.***

قاي(مستكملا حديثه مع نير): «رحل وترك لك إرثه في الدنيا، شاء الخالق أن يكون حل النبوءة في دمائكما، من نسل رابين الذي كان عقيما... ترك لنا (بنيلور) ليكون فيها خلاصنا، فيعود الرزق، ونغادر كهفًا لم نكن لنغادره ما حيينا»

نير: «لم يعد العالم كما تركناه قبل الكهف»

قاي: «لم يعد شيء كما كان عليه»

*من بعيد تجري لاهثة فتاة صغيرة هي (بنيلور) بحثا عن أمها.*

بنيلور: «أمي... ماذا حدث؟ سمعت الناس يتهامسون بأمرك في السوق... لماذا تبكين؟ ما الذي حدث يا صاحب الأمر؟»

قاي: «أمك تشكو لصديق قديم لا أكثر... اهدئي يا ابنتي»

بنيلور: «أهدأ أنا، ولكن من يُهدِّئ ألسنة الناس؟»

قاي: «ليس للناس سوىٰ الألسنة»

بنيلور: «لا أكره سوىٰ ألسنة الناس يا صاحب الأمر»

نير: «لا يهمني الناس، من يطفئ النار في قلب (نير)؟ من يزيل دخانا يثور في نفسي؟ أبوك لو كان هنا لغنىٰ لي، كان كلما ضاقت بي نفسي



يغني لي، الآن لا أملك من رابين سوىٰ ما عادوا به... (تكشف نصله الذي كان يحمله معه دوما) لم يعد منه سوىٰ نصلا أتذكره أنا وأنت جيدا»

***قالتها ورحلت تاركة إياهم دون كلمة أخرىٰ.***

بنيلور: «يا صاحب الأمر... أريد أن أخبرك بشيء«

قاي: «تحدثي يا ابنتي»

بنيلور: «رأيت حلما يا صاحب الأمر»

قاي: «ماذا رأيتِ؟»

***يظهر من الخلف واحد من الناس كان يحاول الوصول إلىٰ قاي، إلا أنه قرر استراق السمع.***

بنيلور(تكمل الحديث): «رأيت آيات خمس قبل ظهور العائد»

قاي: «من العائد؟ وما آياته؟»

بنيلور: «الموتىٰ في الطرقات، طافين كما الغرقىٰ، معلقون من أسافلهم ودماؤهم تجري كما نهر ينهل منه الناس، يشربون منه وأشرب معهم، فيبتلعنا دخان كثيف، ينكشف فيختفي معه الناس، ويعود، يقيم من الماء نارا، ويصير سيدا علىٰ الشاحبين، يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه، لم أرَ وجهه لكن...»



قاي: «لكن ماذا؟ افصحي يا بنيلور»

بنيلور: «كأني أعلمه وآلفته منذ زمن... لا أدري يا صاحب الأمر»

***يقرر الرجل الإفصاح عن نفسه حتى لا يفتضح أمره.***

شخص٢: «يا صاحب الأمر... أمسكنا بواحد ليس من أهل المدينة، يعتقد الرجال بأنه ساحر لوث مياه النهر»

قاي: «سنكمل حديثنا فيما بعد يا بنيلور، اذهبي الآن بقرب نير فهي تحتاج إليكِ الآن»

ترحل بنيلور طاعة لأمره، فيتابع قاي:

قاي (لشخص٢): «هيا بنا»

ثم تظلم إضاءة المسرح

Black



***تفتح بؤرة الإضاءة لتُظهِر «طولو» فوق فراش من القش، يبدو عليه الكبر والعجز، كفيف لا يبصر النور، أنفاسه ثقيلة كثقل الموت، وعلىٰ جانب الفراش جلس «راكاز» ممدا إلىٰ الأرض وقد استند ظهره إلىٰ الفراش، بجانبه زجاجة من النبيذ قد فرغ ثلثيها، وكوب من الصلصال الجاف ملقىٰ علىٰ الأرض، يتلقاه راكاز بيده ويحدث نفسه قائلا:***

«كأس أخرىٰ بعد، ما زلت قادرا علىٰ رفع القدح إلىٰ فمي، هذا يعني أنني لست ثملا بعد، أنا لا أكون راكاز إلا حينما يجعلني الشراب أزحف علىٰ بطني، هذا ضيع الزمان بفارس المدينة»

طولو (يضحك مستنكرا): «الزمان؟! إن كنت تعرف عن الزمان وتقلباته بقدر ما أعرف لما قلت هذا، أنا والزمان ضدان يا فارس المدينة، وقت أن يعلو بالكل، يهبط بي إلىٰ القاع، ووقت أن يطحن الكل تحت نعاله، أصير أنا علىٰ الناس سيدا، فهذا ضيع الزمان... عشرون عاما سيدا علىٰ الناس، ثم ينهشني المرض وتُفقدني الحمىٰ عيناي، وأعود ذليلا، لا أقضي حاجتي إلا بعون بائس مثلك، ثم تحدثني عن ضيع الزمان؟!»

راكاز: «هل قلت هذا بصوت عالٍ؟ ظننت أنني أحدث نفسي»

طولو: «دعك من هذا، خذ كأسا وقل لي: لم سمعت اليوم ضجيجا؟»



راكاز(يتناول من قدح الشراب): «يتحدثون عن العائد يا سيدي الطبيب، انتشرت بين الناس نبوءة أو إشاعة أيهما أقرب، يقولون أن لعودته آيات خمس»

طولو: «حدثني أكثر عن هذا يا راكاز، لا بد أنك تعلم كل شيء، لا شيء في هذه المدينة لا يعرفه أصحاب مجالس الخمر»

راكاز: «خرافة يا سيدي الطبيب، أتصدق في الخرافات الآن؟!»

طولو: «تحدث يا رجل!»

راكاز: «يأتي بآيات، ثلاث تسبقه واثنين يقيمهما بنفسه، انقسم فيه الناس، منهم من يراه الكرب العظيم»

طولو: «وأنت... كيف تراه؟»

راكاز: «أنا لا أصدق كلمات ابنة رابين، لكن على كلٍ سأتبع من يسقني غير الدم»

طولو: «لا يهم الناس سوى البطون والهوى، وأنت الناس يا راكاز ولسانهم الثمل، لذا أبقيك دائما بجانبي... قل لي: ما هي الآيات؟»

راكاز: «موت عظيم، لا يبقي سوى أقل الناس»

طولو: «فأما الكارثة وقد حلت... فما الثانية؟»



راكاز: «نهر من الدماء»

طولو: «وأما هذا فنحن لا نشرب سوىٰ الدم منذ أيام، لون الماء كالنبيذ الذي بيدك... فما الثالثة؟»

راكاز: «دخان يأكل الناس»

طولو: «لم نرها ولم تحدث، فما الأخيرتين؟»

راكاز: «يحيل النار ماءً، فنزرع ونسقي، ويصير سيدا علىٰ الشاحبين»

***علىٰ الناحية الأخرىٰ يظهر «قاي» جالسا علىٰ الأرض وقد استند بظهره إلىٰ قالب صخري، من خلفه يظهر تاوين زاحفا وقد ازدادت آيات عجزه.***

تاوين: «(قاي) يا ولدي.. اسق أبيك شربة ماء يا بني، أشعر بالظمأ... لماذا لا ترد يا بني؟ أفلا رحمت أباك؟ إن كنت نسيت إني أبوك فارحم عجوزا ضعيف الحال، بني... رد علي يا ابن صلبي، لم أقسُ عليك إلا خوفا عليك، سامحني يا بني... يا بني...»

***يقوم (قاي) تاركا المكان باكي العينين، مع إغلاق إضاءة البؤرة.***

***تعود بؤرة الإضاءة إلىٰ (راكاز وطولو).***

طولو: «الشاحبون كقطيع الحيوان المفترس، لا يسود عليهم سيد إلا منهم»



راكاز: «قلت لـك خرافـة يـا سـيد طولـو، خرافـة وانتشـرت بـين أفـواه الناس»

طولو: «أريد أن أحدث قاي... احضره إلي»

راكاز: «لم تريده؟»

طولـو: «ربمـا ليسـت خرافـة يـا راكـاز، قـل لصـاحب الأمـر أن طولـو الطبيب يريدك لأمر جلل»

Black



***يعاد فتح الإضاءة في بؤرة أخرىٰ تتوسط المسرح، جلس فيها «أصفندين» علىٰ ركبتيه مقيدا بالأغلال في عمود توسط المسرح، ومن خلفه يقف «قاي» متابعا إياه، والرجل يتمتم مخرفا بكلماته.***

أصفندين: «الشاحبون يراقبون الطرقات في الليل، أنفاسهم الكريهة تملأ شوارع مدن زائلة، عبرت من بين أنياب الكارثة ولم أمت، ورأيت الشاحبين فدعوت الخالق أن يقبض روحي، أنهم هناك يحشدون حشودهم، تجمع الموت أمامي وخلفي، الكارثة لم تخلف إلا كارثة أسوأ. متوحشون وجائعون، لعابهم القذر يتساقط علىٰ وجوه الموتىٰ، ينهشون بأظافرهم صدور الجثث، يأكلون القلوب.

قاي: «من أنت يا هذا؟ دعك من دور المجذوب الذي تلعبه وتحدث إلي»

أصفندين: «جروا وراء (أصفندين) العجوز، شقوا الأرض بحثا عنه، لكن أحد لم يستطع أن يأكل قلبه أو يقطع أوصاله، (أصفندين) وصل إلىٰ المدينة لكن مات هناك، قتلتني رؤياهم»

قاي: «وكيف هم يا أصفندين؟ صف ما رأيت»

أصفندين: «شاحبون، أصفندين رآهم، شاحبون وملوثون، كأنما خلقوا من نطفة الشيطان، مسوخ لا تبق ولا تذر،



هـاجموا البيـوت والنـاس، فرقـوهم وألقـوا بأشـلائهم الممزقـة في النهر»

قاي: «تعني أنك لست ملوث النهر؟ هل تمازحني أم تظنني مصدقا لأكاذيبك؟»

أصفندين: «(أصفندين) ليس بكاذب، هم من حولوا النهر إلىٰ دماء، سيأتيكم البلاء سيأتيكم... لا قبل لكم به»

قاي: «ساعات تمر، القانون يحتم نبذك من المدينة، تحدث إلي بما تعرف وإلا سآمر الناس بإلقائك بالخارج حيث الشاحبين»

أصفندين (بهدوء متناقض مع ما كان عليه): «من أنت؟»

قاي: «أنا الوحيد الذي يستطيع إنقاذك، أنا أو إلىٰ خارج المدينة ترحل عنا»

أصفندين: «وماذا تريد أن تعرف؟»

قاي: «كيف نقاتلهم؟»

أصفندين (يضحك مستنكرا): «تقاتل من؟! من يحارب الموت يا رجل؟!

قاي: «في رقبتي أرواح ذاقت كارثة، لا أريدهم أن يذوقوا الثانية»



أصـفندين: «لا سـبيل لـذلك، هـم كـالجراد لا ينتهـون، أعـدادهم أضعاف أعدادكم»

قاي: «وكيف نجوت أنت؟»

أصفندين: «إن قلت لك... ما نظير ما أقول؟»

قاي: «سَمِّ ثمنك فأعطيك»

أصفندين: «مثلك لا يقدر علىٰ ما أطلبه، أرىٰ ذلك في عينيك»

قـاي: «أنـت تتحـدث إلـىٰ (قـاي ابـن تـاون) صـاحب الأمـر في هـذه المدينة، سم ثمنك فأعطيك»

أصفندين: «أتقسم علىٰ ذلك؟»

قاي: «بلىٰ... أقسم علىٰ ذلك»

أصفندين: «حسنا إن وقف الشاحبون علىٰ باب المدينة، فاجعل قتلي بيدك، وامض سيفك فيَّ قبل لقائهم»

Black



***تعود الإضاءة لتظهر «بنيلور» جالسة تحت الشجرة التي اعتاد «قاي» أن يجلس في ظلها الظليل، ثوان قليلة ثم يدخل «قاي» ليندهش من وجودها.***

قاي: «(بنيلور) أي ريح طيبة حملتك إلىٰ هنا؟»

بنيلور: «لا أعرف مكانا آخرا لك يا صاحب الأمر... قائدنا، ولا تفارق ظل هذه الشجرة إلا لصلاة أو لأمر يخص الناس»

***يقترب «قاي» منها ويجلس إلىٰ جوارها.***

قاي: «كنتِ تبحثين عني إذن...»

بنيلور: «لا أعلم لمن أتحدث يا صاحب الأمر، لا أشعر أنني والناس علىٰ وفاق، حتىٰ أمي تغيرت، لم تعد المرأة التي أعرفها»

قاي: «تثقلين قلبك الصغير بالهم، هوني عليه»

بنيلور: «منذ أن فقدت أبي وأنا أصارع هما لا قبل لي به، في الثامنة عشر إلا أنني أشعر أنني عجوز في الثمانين»

قاي: «انصتي إلي يا ابنة رابين... خلقنا علىٰ هذه الأرض لنكمل دائرة قدرية لا تنتهي أبدا، نحن، وأعمارنا وأحداثنا والمواقف التي نمر بها، كل هذه نقاط في هذه الدائرة، كل نقطة تهدف إلىٰ أن تحرك نقطة أخرىٰ تليها، كل النقاط تكمل بعضها لتتحرك في مسار واحد،



لا يختل أبدا مهما حدث، ونظن أحيانا لرغبة منا في السهو عن رؤية الحقيقة الكاملة أن نقاطنا تتعارض أو تتقاطع مع بعضها، لكننا ننسىٰ دوما شيئا هاما... أتدرين ما هو؟»

بنيلور: «ما هو يا صاحب الأمر؟»

قاي: «أن لا شيء سيغير المسار مهما حدث، المسار باق والكل إلىٰ زوال، تموت النقاط ويولد بدلا منها من يكمل الدائرة»

بنيلور: «وهذا المسار... إلىٰ أين نهايته؟»

قاي: «لا علم لي فوق هذا، حدثيني أنت يا صاحبة الرؤيا... إلىٰ أين يفضىٰ مسارنا؟»

بنيلور: «وإلىٰ أين أفضىٰ (رابين) و(نير) وأنا وأنت؟ أوليس إلىٰ نهاية؟»

قاي: «ربما لبداية ليست لنا»

بنيلور: «بدأنا علىٰ نهاية غيرنا، وسيبدأ من يلينا علىٰ نهايتنا، أي لعنة أزلية هذه؟»

قاي: « نحن في هذه الدنيا ساعات وتمر، وما تقدرين اليوم علىٰ فعله قد تندمين عليه في الغد لعدم القدرة عليه»



بنيلور: «ماذا تعني يا سيدي؟»

قاي: «حافظي على البقية الباقية من (نير)، أعيدي جمع أشلائها الممزقة فإن القادم شديد، نحتاج فيه إليها، وإلى (بنيلور) الفتاة التي ولدت من رحم النبوءة»

***تدرك بنيلور قصده، ودون كلمة أخرى تقف، تهز له رأسها ثم تتحرك ذاهبة ليبقى «قاي» وحيدا.***

قاي: «(محدثا نفسه) أناصح أنت الآن يا قاي؟! الأولى أن تحدث نفسك، أعوام مرت منذ أن غرس أبوك هذا الدرس فيك، لا تحلم يا قاي، منذ هذا اليوم لم نتبادل الحديث، السنون علمتني الجفاء، ولما شعرت بالندم لم أعرف بأي وجه أقابلك يا أبي، سينتهي كل هذا يوما ما»

***يدخل راكاز حاملا في يده قنينته.***

راكاز: «(قاي بن تاوين) يمضي الليل وحيدا كعادته منذ أن كان صبيا صغيرا، لا يحدث أحدا ولا يريد ونيسا في ليله الطويل، ليس غريبا أنك لم تتزوج حتى الآن يا صاحب الأمر، وجدت لتكون زوجا سيئا، ستترك فراشك باردا وأنت تفهم أن النساء تحب أن يدفئ فراشهن، (يضحك مقاطعا قوله) لا... نسيت أنك لا تفهم هذا جيدا»



قاي: «أفهم فقط كيف يمحو الخمر عقول الرجال، فلا يدرون كيف اختلف الحال بمقام من يتحدثون إليه»

راكاز (يضع الزجاجة من يده ويصفق): «أنياب ومخالب! صغيرنا نمت له أنياب ومخالب، أدركت هذا منذ زمن، منذ أكل هذا الصبي لحم الموتىٰ والحياة تغيرت، لن يعود حالما أبدا»

قاي: «لا حالما ولا حليما كفاية كي أقضي وقتي معك، قل ما تريد»

راكاز: «حسنا يا صاحب الأمر، يريدك صاحب الأمر السابق، طلب مني السيد (طولو) أن أخبرك بأنه يريدك لأمر هام»

قاي: «حسنا، سأذهب إليه، لكن ما هو الأمر؟»

راكاز: «نسيته يا صاحب الأمر، اللعنة علىٰ الخمر وما يفعل بعجوز مثلي»

قاي: «أنا علىٰ عكسك لا ألعن الخمر، يكفينا أنه يقينا شرك»

راكاز: «لماذا تكرهني يا ابن تاوين؟ هل زرع رابين فيك كرهه لي؟»

قاي: «إياك أن ينطق لسانك باسم رابين، رابين مات مدافعا عن الناس، رابين علم الناس كيف يزرعون ويحصدون، رابين لم يكن يوما حاسدا أو ناقما، الكل أحبه، بينما أنت لا نفع فيك، ميت حي، من منكما أزكىٰ نفسا؛ أنت أم رابين؟»



راكاز (ثائرا):«أنا أفضل منه ومن العاهرة التي تزوجها»

قاي: «أنت لا شيء، ذكرىٰ ذائبة في كأس نبيذ، ابتعد عن طريقي»

***يبتعد عنه متجها إلىٰ الخارج، فيستل راكاز سيفه ويلوح به في الهواء قبل أن يقع من ثقله ومن أثر الخمر. ينظر إليه قاي ثم يتركه علىٰ الأرض ويذهب.***

راكاز (بانفعال متزايد من أثر الخمر): «من... من أنت يا هذا كي تتحدث إلي هكذا؟ أنا راكاز سيد الفرسان، أمهر من وطأ الخيل، أنا من كانت تقشعر لاسمي الأبدان، استل سيفك، عد وبارزني، لا يغرك أبدا فعل الزمان بي، لا يغرك كاهلي الذي أثقله الهم، عد وبارز يا ابن تاوين! أقتلك أو تقتلني، والقتل راحة لأمثالنا لا نقدر علىٰ أن نقدمها لأنفسنا، ننتظر في ترقب من ينهي حياتنا لأننا لا نقدر –أنا وأنت» علىٰ فعل ذلك بأيدينا. عد وبارز... فأنا لا أقدر علىٰ أن أحارب كلماتك، فكأنها جردتني من درعي وسلاحي وأبقتني ذليلا أمام نفسي، قتلتني بكلماتك وإني لقاتلك يا ابن تاوين!»

***تنحسر بؤرة الإضاءة عنه إلىٰ أن تُغلق***

Black



***تظهر «نير» جالسة ممسكة بسكين رابين في يدها تتأمله، من خلفها تدخل «بنيلور»، تجلس بجانبها في صمت قبل أن تبدأ حديثها.***

بنيلور: «أمي... أنا خائفة!»

نير: «منذ أن رحل رابين وأنا خائفة، أواجه العالم وحدي»

بنيلور: «ماذا كان يفعل أبي حينما كنتِ تشعرين بالخوف؟»

نير: «كان يغني لي»

بنيلور: «هلا غنيتِ لي إذن؟»

نير: « حسنا... لنغني معا»

بنيلور: «لا أعرف الأغنية»

نير: «ستحفظينها سريعا من أول مرة، كانت جميلة وبسيطة مثله»

بنيلور: «ماذا كان يغني»

نير (تؤدي بصوتها الهادئ كما كان يفعل):

سحابتان صغيرتان...في ظل حر الصيف

تقــاربا تفــارقا...تقـــــابلا كالضيف

تلاقيــــا فأمطرا...في ومضٍ لحظٍ أثمـرا

ثم افترقا محيـرا...بلا ألم أو كــــيف

سحابتان صغيرتان...في ظل حر الصيف



***تردد معها بنيلور في ابتسامة هادئة بادئة في النمو علىٰ وجهيهما، مع إغلاق الإضاءة.***

***يظهر طولو جالسا علىٰ فراشه، يستأذن قاي للدخول إليه.***

قاي: «يا سيدي الطبيب»

طولو: «آه، قاي، صوتك مميز في أذني منذ أن كنت صغيرا، أشكر حضورك يا صاحب الأمر»

قاي: «أنت من نصبتني علىٰ الناس صاحب الأمر خلفا لك، لولاك لم أكن، كيف لا ألبي نداءك؟»

طولو: «تغير الزمن وتغيرت الناس، وأنت أنت، لم تتغير أبدا يا قاي، هلا لبيت للعجوز طلبا؟»

قاي: «بالطبع سيدي... أمرك يطاع»

طولو: «هل ترافقني إلىٰ الصلوات؟»

قاي: «ماذا؟»

طولو: «أريد الذهاب الليلة، أريد أن أذهب لجلسة الاعتراف... وأريدك معي»



قاي: «بالطبع، اعذرني فقط هي أول مرة تطلب هذا مني، لم تحضر إلىٰ الصلوات أو طلبات الاعتراف من قبل»

طولو: «ربما آن الوقت يا قاي... أشعر بهذا»

قاي: «حسنا... لنذهب، استند إلي، سيُسر الناس كثيرا لرؤياك»

طولو: «حدثني يا صاحب الأمر، ماذا ترىٰ في أمر العائد؟»

قاي: «هذا يتوقف علىٰ شيء هام»

طولو: «وما هو؟»

قاي: «من هو العائد؟»

***يقتاده قاي إلىٰ حيث تجمع الناس لأداء صلواتهم، ترتفع الأصوات وتبدأ بالتناغم والانسجام.***

***خلال صلواتهم تبدأ العلامة الثالثة في الظهور، يحيط الظلام بالمكان ويبدأ الدخان في الانتشار فيسد قرص الشمس في السماء، يتخبط الناس في حالة من الذعر، والأصوات ما بين صراخ وبين حناجر أبت إلا أن تحافظ علىٰ صلاتها، البرق يضرب فترىٰ الناس خيالات ممتدة، والأمطار تتساقط في حدة كأنما أمرت بصنع طوفان جديد.***



***راكاز في موقعه الجديد يراقب الخطوات التي تقترب منه، لا يبصر سوىٰ في ضربات البرق، يبدأ الظل في الاقتراب منه.***

راكاز: «مستحيل! أنت؟! العائد؟!»

***يضرب البرق مجددا فيبدو قاي وسط خيالات الناس التي تجري حوله.***

قاي (يصرخ في الناس): «يا أيها الناس حافظوا علىٰ صلواتكم، لا تصرخوا ولا تهلعوا، تأدبوا فأنتم أمام قدر اختاره الخالق، حافظوا علىٰ رباطة جأشكم»

***يضرب البرق مجددا كاشفا (نير) و(بنيلور) و(طولو).***

بنيلور: «الرؤيا تكتمل، الدخان يا صاحب الأمر»

نير: «بنيلور... امسكي يدي يا ابنتي، لا تتركي يدي»

***يضرب البرق، ويزداد صوت صراخ الناس تباعا.***

قاي: «أغلقوا عيونكم، صلوا بالقلوب والحناجر»

أصفندين: «فكوا وثاقي، دعوني أزود عن نفسي، تذكر عهدك يا صاحب الأمر (يصرخ).



***يضرب البرق، أصوات الناس تزداد حدة في صراخها، تتناقص الصلوات صوتا خلف صوت.***

قاي (يصرخ آمرا): «فليتأهب الجيش، رابطوا فإنكم مدافعون عن الأرض والعرض»

***وقع أقدام الجنود يمتزج مع صوت الصلوات.***

أصفندين: «يا أهل المدينة، اقتلوني أو حلوا وثاقي، اقتلوا أصفندين العجوز، يا خلق الخالق... أما من قاتل لأصفندين؟

نير: «بنيلور... أين أنتِ؟ بنيلور... (تصرخ)»

***يضرب البرق مرة أخرىٰ فتختفي الأصوات كلها فجأة، لا يبقىٰ سوىٰ صوت الشخصيات التي سوف تتحدث فقط، كأنما وضعت كل شخصية في معزل عن كل الأصوات.***

نير: «بنيلور... غثني يا رابين... أين أنت يا حبيبي؟ لا أجد ابنتنا»

***من وسط الدخان يقترب منها ظل ينكشف بالتدريج.***

نير: «يا خالقنا! أهذا أنت؟ (رابين) هل أراك حقيقة؟»

رابين: «تعالي معي»

نير: «ولكن ابنتنا... لا أجد بنيلور»



رابين: «تعالي إلي... اتركيها وتعالي إلي»

نير: «كيف؟ كيف أصل إليك؟»

رابين يشير إلىٰ السكين.

***يضرب البرق مجددا، بينما تحاول نير استعمال السكين بالفعل لولا تدخل بنيلور.***

بنيلور: «أمي... اتركي هذا السكين... ماذا تفعلين؟»

نير: «أبيكِ هنا، رابين... لقد رأيته»

بنيلور: «أبي قد مات... أم تفتحين أبواب ماض زائل»

***علىٰ جانب آخر من المسرح يضرب البرق مجددا، فيبدو طولو واقفا وحده، ليس معه أحد ليعاونه.***

طولو: «يا خالقي... مذنب أنا وقد آن الأوان لأعترف، أحس بنهايتي، أشعر بها تقترب، ها أنا أمامك أتعرىٰ من كل قناع... وأعترف»

***علىٰ جانب آخر يضرب الضوء ليظهر تاوين ويقترب من قاي.***

تاوين: «قاي... يا ولدي... أنا خائف وحدي، تحدث إلي يا قاي، تحدث إلىٰ أبيك يا قاي»



قاي (يصرخ): «فليتأهب الجيش»

***يضرب البرق فيظهر راكاز وهو ينحني أمام ظل العائد المتجسد.***

راكاز: «يا أيها العائد، أنا تابعك، مُر تُطاع، وسل تُعطىٰ، أنا أول التابعين لك»

طولو: «يا خالقي... أحببت، والحب خطيئة في زمن الزيف، أحببت امرأة كانت تحب غيري، رأيت نفسي في أعين الناس نابغة، ولم أرني في عينيها قط، مزقت قلبي الذي تعلق بها، أصبح كسرات»

قاي «(يقترب من خيال جالس): من أنت؟ اظهر نفسك»

الخيال: «ألا تذكرني يا قاي؟ أنسيت صديقك القديم؟»

قاي: «اظهر نفسك»

الخيال: «أفلا تذكر اسمي؟ كم عمري؟ إلىٰ أية عائلة أنتمي؟ أفلا تذكر أحلامك البائسة؟ أفلا تذكر لِمَ لمْ تعد تأتيك الرؤىٰ؟»

قاي: «مستحيل! كيف هذا؟! أنت ميت... أبي... أين أنت يا أبي؟ أغثني، الأحلام تحاصرني الآن يا أبي»

طولو: «يا خالقي... عيناها سجن أبدي، ولعنتي الدائمة، وناري التي لا تنطفئ، ما زلت أذكر يوم توارت الشمس، وقلت لها إني متيم بك،



حرب ضروس في قلبي، ارفعي رايتك فإنني سلمت. لم تتحدث لكن قالت عيناها الكثير لم يكن لي مكان في قلبها، لـم أكـن جـديرا بهاتين العينين، سلمت رايتي فلم ترحم قلبا وطأته»

السجين: «اذكر اسمي يا قـاي، تـذكر مـا فعلـت بـي، كنـت صـديقك، وماذا كنت بفاعل؟»

قـاي: «بـل قـل لعنتي، كنـت أنـت مـن تسببت في هلاكـه، وتسبب في إهلاكي، لم أعد انا منذ ذلك الحين»

نيـر: «ثلاثـون عامـا منـذ أن تركنـا الكهـف، الآن أشـعر بـه يطبـق علىٰ أنفاسي»

بنيلور: «هذا الدخان يخنق أنفاسي، يقيد روحي بأغلال من حديد»

طولو: «لم أستطع سوىٰ الرحيل، تركـت وطني وترحلـت في أقصـىٰ الأرض علّي أجد ما يداوي روحـي السقيمة، كنـت أعـالج النـاس في كل وطن وكل أرض، ذاع اسمي بالممالك كلها، لم يكن أحد يـدري أنني أهرب، أحاول أن أفني نفسي كي لا يبقـىٰ مـن الوقـت مـا يكفـي لتطاردني ذكراها، سنوات مرت وأنا أستنفد نفسـي تباعـا، أهـرب بـلا جدوىٰ محاولا نسيان أنني لم أكن مناسبا لها»



بنيلور: «نفسي فقط هي ما أخشىٰ، أخاف أن أفقدني فأصير مثل كل من عرفته، لقد فقدوا أرواحهم هناك في الكهف، فقدوا ذواتهم تباعا، شيئا فشيئا... يا خالقي... أن كنت رؤاي تلك إلىٰ مهلكة فأنا أضعف من حمل رسالتك، لمن أفضي بها والكل إلىٰ زوال؟ هذا المسار يتضح الآن»

طولو: «لم أكن أعلم أن مسار رحلتي سيفضي إلىٰ ذنب أحمله معي إلىٰ قبري، قادتني أسفاري إلىٰ أرض نائية، خليج علىٰ بحر الشمال تحده جبال عالية، يتوسطه سهل أخضر، وضوء الشمس في الغسق كأنما يعلن التمجيد للخالق، كانت جنة الخالق في أرضه... وهناك رأيتها، ترتدي ملابسا بسيطة كأنها أسمال تدلت من فوق أكتافها، وتمد يدها لتحلب الماعز وعلىٰ وجهها بسمة كأنها ملكت الدنيا وما بها، لم أصدق ما رأيت؛ ابنة الملك تعصر ضرع شاه في هذا الركن النائي من العالم! جننت... اشتعل غروري فصنع جرحا هائلا في نفسي، من هذا الذي هو أجدر مني محض شاعر من عامة الناس، كوَّن لسانه بكلماته المعسولة، ينظم الشعر مقابل المال»

***يحيطه ظل متدثر بعباءة وضعها فوق رأسه.***

الظل: «وإلىٰ أين أفضىٰ حقدك الدفين يا طولو؟»

طولو: «أنا أعلم هذا الصوت... كيف؟»



الظل: «قل ما فعلت يا طولو، أكمل اعترافك للخالق»

طولو: «ارحل ودعني يا سقندار، دع شيخا يناجي خالقه في ساعاته الاخيرة»

سقندار: «وبم يفيد رحيلي؟ أنت لا تراني، أنت لا ترىٰ غير نفسك»

طولو: «ثقيلة كلماتك كوقع حجر سقط من علٍ فوق رأسي»

سقندار: «سل نفسك إذن... لماذا أنا هنا؟»

طولو: «لأنني أموت»

سقندار: «في هذا صادق أنت، أكمل اعترافك يا طولو، لا تبق شيء»

طولو: «أرسلت للملك في مدينتنا مرسالا أعلمه فيه بما رأيت، أخبرته فيه أن شاعر العامة (تاوين) سحر ابنته بكلامه المعسول ساحر كذاب لعن أميرتنا بكلماته وصدَّقت هي، قلت له أن ينجد ابنته من تأثير سحره، ولم يعلم الملك أبدا من أرسل المرسال، وبعث برجاله فكسروا عظامه، تركوه حيا بفنه المكسور، ولم ينظم الشعر من يومها، كسروا عظامه وأحلامه وكلماته، واختلط بكاؤه ببكاء الطفل الرضيع، تركوا الطفل حيا أمامه كي يموت باكيا أمام عينيه، آثر الملك أن يموتا ببطء شديد، بعد أن يقضي الشاعر آخر ساعاته ذليل النفس معذب بالآلام، كسروه جسدا ونفسا»



سقندار: «وبعد كل تلك السنوات وجدت نفسك تحيا معه في ذات الكهف، هو وابنه!»

طولو: «لم يكن من المفترض لقاي أن يكون ولدا لتاوين، كان حقا لي»

سقندار: «أترىٰ أيها الطبيب؟ كلنا خطاؤون»

طولو: «في هذا لم تكذب يا سقندار... كلنا نستحق العذاب»

بنيلور: «الناس موتىٰ والمسار حي»

أصفندين: «يا صاحب الأمر، الوعد الوعد يا صاحب الأمر، اقتل أصفندين قبل وصولهم، الوعد الوعد يا صاحب الأمر»

نير: «يا أيها الناس التفوا حول صاحب أمركم، لا تجزعوا فالدخان سينقشع، ما نراه وهم لا أكثر، رابين لن يأمرني بقتل نفسي أبدا، هذا شيطان مبين، احذروا شياطينكم يا قوم... يا قاي... نادي بالناس أنه وهم، يصارعون وهما وما يصارعون إلا أنفسهم ولا يشعرون، الدخان فتنة يا قاي»

تاوين: «أغثني يا قاي، البلاء شديد يا بني، غث أباك من شر ما يراه، لقد أحببتك كما أحببت أمك، وإنما القهر أدرىٰ بتاوين، أفضىٰ مساره إلىٰ وحشة لا يبددها أحد»



نير: «يا أيها الناس... أنتم علىٰ شفا هاوية فلا تتدافعوا، اتبعوا صاحب أمركم»

السجين: «والآن يا قاي... إلىٰ أين؟ ضاقت من حولك السبل، فبأي جبل ستعتصم اليوم؟ اقتل نفسك يا قاي، افعلها بنفسك، فإنك ولا شك مقتول في نهاية الأمر»

سقندار: «إن شاء منع، إن شاء أعطىٰ، إن شاء ابتلاك بأن تحيا وسط هذه المهالك يا طولو، هذا مسارك الذي صُنع لك»

بنيلور: «يا صاحب الأمر، أفق يا صاحب الأمر فأنت في شرك الوهم، الدخان يزول يا صاحب الأمر، الدخان وهم»

نير: «الدخان وهم، تجمعوا علىٰ صلاتكم أيها الناس، تجمعوا حول صاحب أمركم»

قاي (وقد بدأ يستفيق من سكرته): «اعتصموا أيها الناس بصلاتكم، هذا مساركم، تأهبوا واستعدوا»

***يضيء البرق للمرة الأخيرة، ثم يبدأ الدخان في الزوال شيئا فشيئا، ومع انحسار الدخان تتجمع كل الخيالات إلىٰ ظل واحد كبير توسط المسرح، ومن خلفه يقف راكاز تابعا له، ومع اتضاح الصورة شيئا فشيئا، نرىٰ أن هذا الخيال المتواجد هو (هولوك) الناس من حوله***



***تتساقط في إعياء شديد، ثم يلاحظون هولوك فيزداد القلق والاضطراب وهمهمات الناس.***

هولوك: «هذا مساركم أيها الناس، يُفضىٰ إليَّ»

نير: «هولوك... أهذا أنت؟»

راكاز: «بل العائد، إني مخلصكم أيها القوم»

بنيلور: «أنا أعرف وجهك، رأيتك في أحلامي»

أصفندين: «ساحر كذاب، لا تستمعوا إليه»

قاي (يقطع قيده): «اذهب أيها الرجل، ارحل فأنت لست معنيا بهذا»

أصفندين: «ووعدك يا صاحب الأمر؟»

قاي: «لست بقاتل»

***يتركه ويرحل، ثم يتبع أصفندين خطاه.***

نير: «كيف يا هولوك؟ كيف تعود بعد كل هذا؟ أين كنت وكيف خرجت؟ كيف لا يبدو عليك أثر السنين؟ لم تكبر يوما واحدا يا هولوك»

هولوك: «هولوك... آه... أذكر زمانا حملت فيه هنا الاسم، جئتم إلىٰ محبسي في كهف ناءٍ، كان مقدرا لي أن أقابلكم داخل الكهف، والآن في خارجه، بكم نجوت سابقا، والآن أنا هنا... أفضي مساركم إليَّ»



قاي: «ماذا تعني بمحبسك؟ كيف نجوت بنا؟»

هولوك: «خطاياكم حلت وثاقي، صرتم أحق مني بالحبس»

نير: «أنت عاصر خمر، كيف لمخلصنا أن يكون مثلك؟»

هولوك: «ومن يتحدث؟ عاهرة تشقق جسدها تحت وطأة الرجال؟ أم رجل علم تفسر رؤياه وكان أجبن من أن يتحدث؟»

قاي (صارخا): «أيها الناس، استعدوا لملاقاة فتنة أخيرة»

هولوك: «أيها الناس... أنا مخلصكم، العائد الذي تنتظرون، لا أريد لكم سوىٰ النجاة، من يتبع يلق نجاة، من يعصني فله غضبي المستعر»

راكاز: «قد جاءكم بالآيات فلا تصموا الآذان»

قاي: «بل أنت الأعمىٰ والأصم يا راكاز... أنت الأضل سبيلا»

هولوك: «أيها الناس... هذا ماؤكم الممزوج بالدم، أعيده إليكم كما كان أول مرة، عل في هذا طمأنة لقلوبكم»

***يحرك يده إلىٰ ناحية الماء فيعود صافيا كما كان.***

راكاز: «استبشروا بوعده، أطيعوا الآن»

شخص٣: «أطعناك أيها العائد»



شخص٤ : «هذا مسارنا... يُفضىٰ إليك»

راكاز: «أطيعوا الآن أيها الناس»

هولوك: «ليس الآن، لكم مني ليلة واحدة، ثم آتي إلىٰ هنا مرة أخرىٰ، فإما اتبعتموني، وإلا فالشاحبون هناك، علىٰ أبواب المدينة يرقبون أمري، لا يسوقهم واحد غيري، يتوقون لأكل القلوب واقتلاع الحناجر، يتوقون لحرب لن يذكر التاريخ بعدها... الحرب الأخيرة»

***يقول آخر قوله ثم يرحل تاركا للناس حيرتهم وانقسامهم.***

شخص١ : «إن كان هذا قدر الخالق فعلينا اتباعه»

شخص٢ : «بلىٰ... هو كذلك، ألم تروا آياته التي جاء بها؟»

شخص٣: «بإشارة من يده عاد النهر كما كان»

شخص٤ : «ها هو يعدكم الخلاص، يعدكم برغد العيش»

شخص٥ : «وربما كان بلاءً وشرًا مستطيرا»

نير: «هو البلاء، شرنا القادم»

بنيلور: «من هذا الرجل يا أمي؟ أكاد أقسم أني أعرفه»

نير: «كان معنا بالكهف الذي احتمينا به من الكارثة»

قاي: «بل كنا نحن معه في كهفه، الصورة تتضح الآن»



نير: «نعم... كان هولوك سؤالنا الذي لم ندر إجابته دوما، لم نعلم له قصة، لم نعلم أبدا كيف أتىٰ إلىٰ الكهف ولا كيف خرج منه»

شخص١: «وكيف كان»

قاي: «عاصر نبيذنا الذي لم يقربه قط، يزين لنا الخطيئة ولا يقربها»

نير: «ثلاثون عاما ماضية منذ فارقنا الكهف، ثلاثون عاما منذ أن رحل دون أن نعلم كيف استطاع الخروج من الكهف، والآن يعود دون أن يبدو عليه أثر الأيام»

شخص٢: «هو نبي إذن... جاء بالآيات مرسلا»

بنيلور: «نبينا عاصر خمر؟! استمعوا إلىٰ ما تقولون أيها الناس!»

نير: «مخلصكم لن يكون آثما أبدا»

شخص٤: «ومن تصدر الحكم علىٰ رجل له معجزاته؟ عاهرة اختل عقلها فلا تزال تأبىٰ الاعتراف بموت زوجها؟»

قاي (ممسكا بتلابيب ملابسه): «كلمة أخرىٰ وسآمر بقطع لسانك، ولنرىٰ إن كان هولوك يستطيع إعادته لك»

شخص٤: «تتحدث كالكافرين يا... صاحب الأمر»



قاي: «بل أنت الضال يا رجل، أيها الناس، استمعوا إلي، هذه فتنتكم الأشر، وشركم الأعظم، من أراد اتباعه فليفعل، أما أنا فمقاوم حتىٰ الرمق الأخير»

شخص٥: «تقاوم من بعثه الخالق؟»

قاي: «بعثه ليبتليكم به، يضلكم بعد إذ هديتم، بث فينا ضلالاته ورأيتم جميعا أشخاصا قضوا نحبهم واقفين في دخانه الذي أرسله»

نير: «الموتىٰ لا يعودون، أراد زعزعة إيماننا»

أصفندين: «وما الذي ترينه أنت يا فتاة؟»

شخص١: «نعم... ما الذي تراه صاحبة النبوءة؟»

بنيلور: «ليس بمخلص، هو البلاء تجسد أمامكم»

شخص٤: «إن كان ببلاء فلا قبل لنا بمواجهته»

شخص٥: «نعم، حتىٰ وإن كان بلاء، نتبعه اتقاءً لشره»

أصفندين: «وتسيرون في الفتنة مثلما سرت أنا، خائنا لقومي ووطني، أنا أيها الناس من خان مملكة الشمال، تملكني الخوف لما رأيتهم أمامي، وسرت بهم إلىٰ طريق المملكة، اتبعتهم خوفا علىٰ حياتي،



وأدركت أنني فقدت روحي هناك أمامهم، تركوني حيا وها أنا أرجو لو اختارني الموت وقتها، أبحث عن قاتل لي فلا أجد، وغير قادر علىٰ قتل نفسي»

شخص٤ : «الشاحبون هناك علىٰ أبوابنا، إن لم نتبع الآن فإننا مهلكون»

بنيلور: «أنا إلىٰ صف صاحب الأمر، أقاتل معك وأموت معك»

نير: «وأنا معك يا صاحب الأمر»

أصفندين: «أما أنا أموت بيدك، أو أموت معك يا صاحب الأمر»

شخص٤ : «أيها الناس، كونوا كزرعكم إن قابل الريح يميل، لا قبل لنا بمواجهته، أنا سأتبع العائد»

شخص٣: «وأنا معك»

***ينقسم رأي الناس، والغالبية العظمىٰ تقرر اتباع العائد.***

قاي: «اليوم حلت الكارثة!»

*يأخذ بيد نير ويرحل، ومن خلفهم كل من اتبعهم.*

Black



***عند فتح الإضاءة نرىٰ الناس قد تجمعوا، يقف أمامهم هولوك، ومن خلفه راكاز.***

هولوك: «مرت الليلة واجتمعتم، فإلام استقر رأيكم؟»

راكاز: «سيتبعك الناس، هل هناك رأي آخر؟»

شخص٤: «كلنا نتبع أمرك أيها العائد، أنت مخلصنا»

هولوك: «وأين قائدكم؟ لا أرىٰ قاي بينكم»

راكاز: «فر هاربا»

طولو: «بل تركنا ورحل، تعاظم عليه رأي الناس، لكنه لم يفر»

هولوك: «الطبيب! نال منه العمر يا صديقي القديم!»

طولو: «بينما لم يفعل العمر معك شيء، لا بد وأن لذلك حكمة»

هولوك: «وعدتك أن آتيك قبل أن يأتيك نحبك، هل تذكر؟»

طولو: «وقتها لم تكن أنت أنت ولم أكن أنا أنا»

هولوك: «والآن أيها الطبيب؟»

طولو: «أصدق بك، أتيت قبل أن يأتي نحبي»

هولوك: «وعشيرتك؟»



طولو: «كلهم بين يديك، يدعونك مخلصا»

هولوك: «والذين رحلوا؟»

طولو: «الراحلون يرحمهم الله»

هولوك: «لا بد أن يتبعني الكل»

طولو: «والجميع أمامك يؤمنون بك، الراحلون لم يعودوا معنا»

هولوك: «قلت الكل، من لا يتبعني هو ميت»

طولو: «لا أحد يعلم مكانهم»

هولوك: «ابحثوا عنهم، اقتلوهم حيث تدركوهم، إما أن تحضروا لي جثثهم أو فهذه ناري (بإشارة من يده يتأجج بئر المسرح بالنار) تدرككم أينما تكونون، النار خلفكم والشاحبون أمامكم، احضروا جثثهم إليَّ تلقون جنة ونعيما، وإلا فالنار أولىٰ بكم»

***يهرع الناس جميعا للبحث عنهم، قبل إغلاق إضاءة المسرح.***

Black



***تشعل إضاءة خفيفة لتكشف عن قاي جالسا وحده، مستندا إلىٰ ذات اللوح الحجري، بعينين مغلقتين كأنما في سبات، ومن خلفه يزحف تاوين إليه.***

تاوين: «نم يا صغيري، منذ اليوم الذي ولدت فيه وأنا أذكرك، لا تحلم يا قاي، الحلم سيسير بك إلىٰ مهلكة، أعرف أنك تكرهني، أعلم جيدا كيف هو الشق الذي صنعته بيني وبينك، أحدثك فلا تحدثني، أبكي أمامك كل يوم فتشيح بوجهك عني، قلبك يتسع للكل إلا لي»

قاي (دون أن يفتح عينه): «أبي... أغثني يا أبي»

تاوين: «اهدأ يا بني، اهدأ فلا ينقصك هم فوق همومك، لا ينقصك تاوين العاجز»

قاي: «وما الذي بقي لأفعله؟»

تاوين: «قم من نومك يا قاي، افتح عيناك وانظر إلىٰ الخطر المحدق بك»

قاي: «ضمني إليك يا أبي»

تاوين: «تعال يا بني، دعني أحتضنك بين ذراعيَّ، أقبل جبينك وأطلب مسامحتك ثم أرحل وأتركك، فلا ينقصك هم بائس مثلي، نم الآن يا بني وقم منتصرا غير مهزوم»



***يرحل بعد أن ضمه زاحفا إلىٰ الخارج مرددا:***

«أباك يحبك يا قاي، تذكر هذا دوما يا قاي»

***تعود الإضاءة كاملة بعد رحيل تاوين، وتمتزج كلماته بنداءات طولو الذي يحاول الدخول مستندا إلىٰ عصاه.***

***مع عودة الإضاءة كاملة يظهر ما يحيط بقاي من شواهد القبور، ويستند هو إلىٰ واحد منهم وقد غلبه النوم، معه (نير) و(بنيلور) و(أصفندين)***

طولو: «قاي، أين أنت يا بني؟ إني أشم رائحتك»

قاي: «سيدي الطبيب؟ كيف وصلت إلىٰ هنا وكيف وجدتني؟»

طولو: «وأين تكون لو لم تكن عند قبر أبيك؟»

قاي: «كان يزور أحلامي كثيرا، حتىٰ في يقظتي دوما أراه يحدثني، وأراني دوما لا أحدثه، حتىٰ في نومي لا أستطيع الحديث مع أبي، لكن اليوم ضمني في أحضانه وسار مبتعدا»

طولو: «ربما سيأتي وقت للحديث يا بني، لكن ليس الآن، عليكم بالهروب الآن»

قاي: «لماذا؟»



طولوا: «الناس في خوف علىٰ حياتهم، لقد أشعل هولوك في المدينة نارا عظيمة، لن تنطفئ إلا لو وضعوك ومن اتبعك فوق المشانق، عليكم بالهروب الآن»

قاي: «والناس؟»

طولو: «أي ناس؟ سيقدمونك قربانا كما فعلنا نحن منذ زمن، الزمان يعيد نفسه»

***أصوات الناس تجتمع من حولهم.***

نير: «تأخر الوقت، لا مجال للهروب الآن»

أصفندين: «وإن هربنا من الناس لن نستطيع الهروب من الشاحبين»

بنيلور: «سنموت يا أمي، أحس بنهايتي تدنو»

نير: «فلنغني معا يا ابنتي، مرة واحدة أخيرة»

قاي: «لن أهرب، لن أضع من يدي سيفي»

أصفندين: «سنموت إذن، هذه نهاية لا بأس بها»

طولو: «يا لهذا الزمان! جيشك الآن يا ابن تاوين اثنان من النساء وعجوزان أحدهما ضرير»

قاي (مبتسما): «هذا جيش أثق به»



أصوات الناس ممتزجة بزئير الشاحبين وصرخاتهم تقترب... يرفع قاي ومن اتبعه سلاحهم وعصيهم مستعدين.

قاي: «إن كانت تلك نهايتنا فلنجعلها تستحق»

***ينظرون إلى بعضهم مبتسمين، بينما الأصوات تقترب أكثر حتى نكاد تصم آذانهم، يصرخ قاي مستلا سيفه، بينما رفعت نير سكين رابين صارخة. ثم تغلق الإضاءة***

Black



***تفتح الإضاءة مرة أخرىٰ كاشفة عن بؤرة تتوسط المسرح، يجلس بها قاي صغيرا بالعمر الذي كان فيه بداخل الكهف، ومن خلفه سقندار يقترب منه.***

***يبدو علىٰ قاي أثر الاستفاقة من صدمة ما.***

قاي (بعينين تعلق بهما الدمع) «حدثني يا صاحب التأويل، إن كان هذا ما انتهينا إليه، فما هي البداية؟»

سقندار: «أي بداية تقصد؟ كل شيء في هذه الدنيا كان بداية لما نحن فيه»

قاي: «حدثني عن بداية كل شيء إذن»

سقندار: «سيطول حديثنا، ألا تريد النوم؟»

قاي: «أخاف منه، أخشىٰ ان أرىٰ ما أراه كل ليلة في أحلامي البائسة، حدثني يا صاحب التأويل، فإن حديثك يطيب له القلب»

سقندار: «حسنا إذن، في البداية يا فتىٰ لم يكن هناك شيء، فقط ظلام حالك، لا مثيل له، ثم أمر الخالق أن يكون النور»

***يضيء من بين يديه نور يظهر وجودهم بالكهف.***

سقندار (متابعا): «فكان النور»

ثم تغلق الإضاءة للمرة الأخيرة.

## ستار

****